

# السنوسية والزغاوة

## دراسة فى التفاعلات الثقافية والتدخلات الخارجية

(١٨٥٠ - ١٩١٦) (\*)

د. وسام أحمد طه منصور

مدرس التاريخ الحديث والمعاصر

قسم التاريخ-كلية الدراسات الأفريقية العليا

جامعة القاهرة

### المخلص

تعتبر السنوسية واحدة من أهم الحركات الإصلاحية التي ظهرت في العالم الإسلامي خلال القرن التاسع عشر ، واهتمت بحكم تركزها في ليبيا بالدعوة إلى تعاليم الإسلام خاصة في منطقة حزام السودان الأوسط، ونشطت في وقف حملات التنصير. وكانت قبيلة الزغاوة واحدة من تلك القبائل التي اتجه نشاط السنوسية إليها مبكرا، وذلك بحكم مكانتها وثروتها وعددها ، وتحكما في العديد من طرق التجارة الصحراوية .

تهدف الدراسة لتبيان دوافع توجه الدعوة السنوسية نحو الزغاوة إبرازا للدور الثقافي الذي لعبته في هذا الصدد، وطبيعة العلاقة بين السنوسية والزغاوة ، مع إبراز التعاون بينهما في مواجهة التدخلات الخارجية

### Abstract:

Senussi is considered one of the most important reform movements that emerged in the Islamic world during the nineteenth century, and was concerned with establishing its concentration in Libya by calling for the teachings of Islam, especially in the central Sudanese belt, and was active in stopping Christianization campaigns.

The Zaghawa tribe was one of those tribes to which Senussi's activity turned early, due to its position, wealth and number, and they controlled many desert trade routes.

The study aims to clarify the motives for the Senussi's call to

(\*) مجلة المؤرخ المصري، عدد يوليو ٢٠٢٢، العدد الواحد والستون.

the Zaghawa, highlighting the cultural role it played in this regard, and the nature of the relationship between the Senussi and the Zaghawa, while highlighting the cooperation between them in the face of external interference

### أهمية هذا الموضوع:

تعتبر السنوسية واحدة من أهم الحركات الإصلاحية التي ظهرت في العالم الإسلامي خلال القرن التاسع عشر، والتي كانت تدعو إلى إتباع تعاليم الإسلام السمحة ورفض العادات والممارسات الدخيلة على الإسلام. واهتمت السنوسية بحكم تمركزها في ليبيا بالدعوة إلى تعاليم الإسلام خاصة في منطقة حزام السودان الأوسط، ونشطت في وقف حملات التنصير.

وكانت قبيلة الزغاوة واحدة من تلك القبائل التي اتجه نشاط السنوسية إليها مبكراً، وذلك بحكم مكانتها فهي واحدة من أهم قبائل المنطقة وأكثرها ثروة وعداداً، وتتحكم في العديد من طرق التجارة الصحراوية.

ومثل وجود عدد من الأطراف المؤثرة في الدراسة كالحركة المهدية في السودان وادي النيل خلال الفترة ١٨٨١ - ١٨٩٨ وحكومة السودان "بريطانية التكوين" في الخرطوم، ثم الزحف الفرنسي على السلطنات الإسلامية في السودان الأوسط والتي هددت السنوسية ونفوذها في تلك الأصقاع، مما ساعد على توجيه الأحداث التاريخية نحو منحى معين.

### أسباب اختيار الموضوع:

تكمن أهمية اختيار هذا الموضوع في كونه دراسة لعلاقات المكان التي جمعت بين طرفين محليين: **أولهما**: حركة إصلاحية صوفية النشأة إسلامية الطابع وهي الحركة السنوسية. **وثانيهما**: جماعة عرقية وهي قبائل الزغاوة. مما أصلً للتقارب والتعاون بينهما في مواجهة أى تدخل خارجي.

وكذلك في رصد وتحليل للدور ثنائي القطبية "السياسي - الدعوي" التي قامت به الطريقة السنوسية في دار الزغاوة، مما بلور التوجه العام التي كانت تقوم به السنوسية في تلك الأصقاع بما يمكن أن يعد نموذجاً لطريقة صوفية إصلاحية عند ممارستها لدور السياسي، تحقيقاً لأهدافها.

رصد وتحليل أثر بزوغ الحركة المهدية في السودان وادي النيل على طبيعة وشكل العلاقة بين السنوسية وقبيلة الزغاوة، في ظل طموح المهدية للتوغل في السلطنات والممالك الإسلامية مثل وادي وكانم وهي مناطق النفوذ التقليدي والحيوي للطريقة السنوسية، مع محاولة سبر غور الإجراءات التي قامت بها السنوسية لمواجهة ذلك التحدي.

رصد دور القبائل مثل الزغاوة والكبابيش والصراع فيما بينهما كوكلاء عن قوى أخرى أصيلة، وذلك في إطار المواجهة غير المسلحة بين حكومة السودان والاحتلال البريطاني من جانب والتحالف الذي ضم الحركة السنوسية وسلطنة دارفور والقبائل الخاضعة لهما في الفترة التي سبقت اندلاع الحرب العظمى ١٩١٤، وذلك من خلال الغوص في الوثائق على تنوعها.

#### الفترة الزمنية:

شهد عام ١٨٥٠ بدء اهتمام الطريقة السنوسية بقبيلة الزغاوة، فأرسل لهم السيد محمد بن علي السنوسي الكبير تلك الرسالة لحثهم على اتباع تعاليم الإسلام والكف على ما من شأنه الانحراف عن تلك التعاليم.

كما شهد عام ١٩١٦ انتهاء الدور التي قامت به السنوسية إبان الحرب العظمى والتي اندلعت في عام ١٩١٤، والتي أبدت فيها دورا إيجابيا من خلال تعاونها مع القوى المحلية وجرى تشكيل تحالف محلي بالتعاون مع الدولة العثمانية وألمانيا في مواجهة بريطانيا وفرنسا.

#### أهداف الدراسة:

تهدف هذه الورقة البحثية إلى عدة أهداف: أولها: إبراز الدوافع التي جعلت السنوسية تتجه في دعوتها نحو الزغاوة. ثانيها: البحث حول الأصول العرقية للزغاوة على اعتبار أنها من المجموعات العرقية الكبرى. ثالثها: إبراز دور الحركة السنوسية وطبيعتها علاقتها مع قبيلة الزغاوة ونواياها الحقيقية من وراء ذلك. رابعها: إبراز التعاون بين السنوسية والزغاوة في مواجهة المؤثرات الخارجية - حتى وإن كانت محلية - ولعل من أهمها

الحركة المهدية ناهيك عن الدخالات الخارجية مثل الزحف الفرنسي. **خامسا:** إلقاء الضوء على أثر المتغيرات المحلية والإقليمية ذات البعد الدولي، على ميزان القوى في تلك المنطقة، والتي زجت بأطراف الصراع في خضم الحرب العظمى.

#### محددات العمل في تلك الدراسة:

تلك الدراسة هي ليست رسدا أو تأريخا لنشأة الحركة السنوسية ومدى تطورها في ليبيا أو خارجها، فهذا طرح علمي مغاير لما نقوم به في تلك الدراسة، فهناك العديد من الدراسات المتخصصة في الحركة السنوسية نشأتها وتطورها، ولذا أثرنا في دراستنا تلك ألا نخوض في ذلك المجال فنحن لسنا معنيين به، فهو خارج الإطار المنهجي للدراسة.

كما أن تلك الدراسة أيضا ليست تأريخا لقبيلة الزغاوة وتعدد عشائرها وأنساقهم السياسية والاجتماعية، وما للقبيلة من عادات وتقاليد وصراعات وتحديات خاضتها، فهذا مجال لدراسات أخرى نعكف عليها. لكن الدراسة التي بين أيدي حضراتكم تختص بالعلاقة البينية القائمة بين السنوسية كحركة صوفية إصلاحية لها أهداف واضحة، وبين قبيلة الزغاوة كقبيلة لها شأن كبير ومحط اهتمام السنوسية في ذات الوقت.

ووقع الاختيار في دراستنا على محددتين أساسيين كي يتم دراستهما: **أولهما:** التفاعلات الثقافية والتي تمحورت حول سعي السنوسية لنشر العقيدة الإسلامية، والإجراءات التي قامت بها لزيادة أتباع الطريقة ومؤيديها في دار الزغاوة. **ثانيهما:** التدخلات الخارجية والتي تنوعت وتعددت، وسعت لإحداث خلل في معادلة العلاقة المتبادلة بين الطريقة السنوسية وقبيلة الزغاوة.

#### تساؤلات الدراسة:

وتطرح الدراسة عددا من التساؤلات لعل من أهمها ما هو طبيعة الدور الذي قامت به السنوسية في أرض الزغاوة؟، وهل كان هذا الدور إيجابيا؟، وهل حظى ذلك الدور بقبول الأهالي؟، وما هي نتائج القيام بذلك

الدور من عدمه على أهالي الزغاوة؟، وهل كانت الضغوطات التي واجهتها السنوسية والزغاوة مدعاة لوجود تعاون في مواجهة التدخل الأجنبي؟. وما هي المتغيرات المحلية الإقليمية ذات البعد الدولي على العلاقة بين السنوسية والزغاوة؟، وهل كان لتلك المتغيرات أثرا على ميزان القوى في تلك المنطقة؟، وما هي الدوافع التي زجت بأطراف الصراع في خضم الحرب العظمى؟.

وجرى تقسيم الدراسة إلى مقدمة وتمهيد وستة مباحث هذا بالإضافة

### لنتائج الدراسة

التمهيد: نشأة السنوسية في ليبيا:

أولا - الأصول العرقية لقبيلة الزغاوة ومدى ارتباطها بالتراب الليبي:

ثانيا - السنوسية والحفاظ على الأمن والاستقرار في دار الزغاوة:

ثالثا - السنوسية والدعوة للإسلام في أرض الزغاوة:

رابعا - الزغاوة بين السنوسية والمهدية:

خامسا - الزغاوة والتعاون بين السنوسية وعلي دينار في مواجهة التدخل

الأجنبي:

سادسا - الحرب العظمى والتحالف العثماني مع السنوسيين وعلى

دينار:

أهم الجهود المبذولة في الدراسة:

جرى الاعتماد على المصادر والمراجع على تنوعها ما بين المصادر

والمراجع الأصلية، وجرى ترجمة عشرات المئات من صفحات الوثائق غير

المنشورة مع متابعة الحديث منها، والتي تناولت موضوع الدراسة، فقد

طالعت كل ما طالته يدي من مصادر ومراجع متنوعة، وتم إخضاع تلك

المصادر للنقد والتحليل، حيث لم يسلم الباحث قلمه أو فكره لآراء المؤرخين

الغربيين الذين لهم مآربهم ورؤاهم في ذلك الشأن.

وتيسر للباحث السفر إلى دارفور في زيارة ميدانية أثناء دراسة

الموضوع، وتمكنت بمساعدة القوات المسلحة السودانية وجهاز الاستخبارات السوداني قضاء زهاء شهر كامل طفت فيه الإقليم من أقصاه إلى أقصاه، فزرت الفاشر، ونيالا، وأميرو، وزالنجي، وأم كداده، والضعين، وعد الفرسان، وكُتْم، ونورلي، وكتيله وغيرها وتتوزع تلك المدن والبلدات في ولايات دارفور الثلاث: ولاية شمال دارفور وعاصمتها الفاشر، وولاية جنوب دارفور وعاصمتها نيالا، وولاية غرب دارفور وعاصمتها الجنيينة. كما تيسر أيضاً تدبير زيارة قصيرة إلى تشاد لمدة أسبوع واحد فقط. وفي الرحلتين تمكنت من جمع المعلومات واستقاء الخبرات، وتدبير اللقاءات مع رواة التاريخ الشفاهي ومشايخ القبائل، مما كان له دور في إثراء الدراسة.

وتم إجراء التحليل والتقييم للقضايا التي تناولتها الدراسة، وأُديت فيها برأيي بحيث لا تصبح الدراسة مجرد جمع للوثائق والمراجع المختلفة أو حكراً على آراء وأفكار الباحثين والكتاب الذين جرى الاستعانة بهم، وإنما أضاف الباحث بصمته وشخصيته بناء على ثقافته الخاصة، ومدى استيعابه للموضوع، وأتبع الباحث الموضوعية في هذا الشأن على قدر الإمكان.

تم طرح عدد من التساؤلات داخل الدراسة، وذلك رغبة في التوصل إلى أقرب شئ إلى الحقيقة، وكذلك لاستتطاق ما تحت يدي من وثائق ومراجع عليها ترشدنا إلى فهم أكثر عمقا، بغية التوصل إلى نتائج أكثر دقة.

#### المصادر التي جرى الاعتماد عليها:

جرى الاستعانة بقدر لا بأس به من المصادر غير المنشورة سواء من دار الوثائق القومية بالخرطوم، أو من مكتبة جامعة بيرجن بالنرويج، أو من مركز الدراسات الأفريقية جامعة بيرجن بالنرويج.

أرشيف المهديّة: وهو مجموعة هائلة من آلاف الوثائق المدونة باللغة العربية، والتي توضح كل جوانب الحياة السياسية والإدارية والتاريخية في السودان بين عامي ١٨٨٥ - ١٨٩٨.

مجموعة تقارير مكتب الاستخبارات Cairo Intelligence Sudan Intelligence Reports، Reports المودعة بدار الوثائق القومية

بالخرطوم، وهما مجموعتان من التقارير التي أعدت بعد سقوط طوكر، وكانت المخابرات المصرية تحت قيادة ونجت تسجل كل صغيرة وكبيرة تصل إليها عن طريق التجار والجواسيس، وتجمع في تقرير شهري، يحتوى على قدر هائل من المعلومات المنظمة والمرتبطة بطريقة تساعد على تحقيق الاستفادة منها في مجال البحث العلمي، وهي إضافة واضحة في الدراسة حيث أمطت اللثام عن الكثير من المعلومات الدقيقة، والتي لم تفسح عنها غيرها من الوثائق.

ملفات مديرية دارفور Darfur Province Files، وتلك المجموعة الوثائقية كانت مودعة بدار المحفوظات بالفاشر في دارفور ولكن بدون أدنى ترتيب أو تصنيف، وهي تمثل كماً هائلاً جداً من الملفات والسجلات في شتى الموضوعات المتعلقة بشئون المديرية، وظلت تلك الوثائق في هذه الدار إلى أن امتدت إليها يد التصنيف والترتيب على يد البروفسور أوفاهي في خمسينيات القرن العشرين وبعد ترتيبها قام بالحصول على نسخ كاملة منها، وأودعها في التسعينيات في مكتبة مركز البحوث والدراسات السودانية بجامعة بيرجن بالنرويج، وأهدى جزء منها إلى مكتبة جامعة بيرجن بالنرويج حيث يعمل. وقد تيسر للباحث الحصول على نسخ كاملة من كل تلك الوثائق سواء على أقراص مدمجة CD أو ميكروفيلم.

أوراق البروفسور أوفاهي الشخصية O'Fahey Field Notes، وهي تلك التي أعدها أثناء استقراره في دارفور لسنوات في خمسينيات وستينيات القرن العشرين، حيث جالس كثيراً من أبناء دارفور سواء من زعماء ومشايخ القبائل أو الأهالي في شتى بقاع دارفور، ولذا فهي أوراق ثمينة استفدت منها كثيراً. وهي مقسمة ومفهرسة بطريقة منظمة ومودعة بمكتبة مركز البحوث والدراسات السودانية في جامعة بيرجن بالنرويج.

## Abbreviations

Bergen University  
B.U.  
Cairo Intelligence Reports  
C.I.R.  
Darfur Province Files  
Dar.Pro.  
O'Fahey Papers  
O'Fahey Pap.  
Sudan Intelligence Reports  
S.I.R.

### التمهيد: نشأة السنوسية في ليبيا.

نشأ السيد محمد بن علي السنوسي في بيت علم ودين وفضل في بلدة مستغانم بالجزائر في عام ١٧٨٧، وأظهر شغفا بتحصيل العلم فحفظ القرآن الكريم ثم درس الحديث الشريف والفقهاء. ونشأ شغوا بتوحيد صفوف العالم الإسلامي وإحياء علوم الإسلام السمح الحنيف<sup>(١)</sup>، وبالمثل حمل لواء الدعوة الإسلامية إلى من لم تصلهم بعد في أصقاع القارة الأفريقية الوثنية، ورسخ في فكره ضرورة بذل الجهود المستمرة في هذين السبيلين: وأولهما: السعي الحثيث على نشر الإسلام، وثانيهما: بذل الجهود لتوحيد العالم الإسلامي بعد أن فطن إلى حقيقة أحواله وما وصل إليه من ضعف وتدهور، فأراد أن يبث دعوته الرشيدة إلى الإصلاح لوحدة العالم الإسلامي<sup>(٢)</sup>.

وكان السبيل الرئيس الذي اختاره السيد محمد بن علي السنوسي في تحقيق هدفه هو طلب العلم، الذي حرص على أن ينهل منه، فارتحل طلبا له في فاس ومصر والحجاز...، وكان لذلك انعكاسه على اتساع مداركه بعد أن تبصر بعوامل ضعف العالم الإسلامي<sup>(٣)</sup>، وأدرك أن الدولة العثمانية تسير نحو التفتت وأن ضعفها كان الدافع الأكبر لدى الدول الأوروبية لاحتلال أراضي العالم الإسلامي. وكان من أهم تعاليم محمد بن علي السنوسي دعوة الناس لاتباع قواعد الدين في أبسط صورها، وقد رفض مسلك الكثير من



الطرق الصوفية التي سمحت لنفسها بممارسة بعض العادات الدخيلة على الإسلام<sup>(٤)</sup>.

ساعدت طبيعة نظام الحكم العثماني غير المباشر في انتشار السنوسية في ليبيا حيث كان نفوذهم مقصورا على السواحل حيث مركز ولايتهم، فاعترف والي طرابلس العثماني بإمارة السيد محمد بن علي السنوسي، وكان لذلك عظيم الأثر بحصوله على الشرعية من العثمانيين<sup>(٥)</sup>، ولعل الدافع من وراء الاعتراف العثماني به مكانته ونفوذه الروحي على الأهالي واستتباب الأمر له فيما بينهم في الداخل الليبي، وكان ذلك في صالح العثمانيين الذين لم يجدوا غضاضة في الاعتراف به رغبة منهم في شيوع الاستقرار واستتباب الأمن في الداخل الليبي، وكذلك في المحافظة على كيان الدولة العلية ولضمان مؤازرته لها عند الحاجة، خاصة وأنه يدين لهم بالولاء ولم يشق عصا الطاعة عليهم، وكذلك لنجاحه في التواصل بين الساحل الخاضع للسيادة العثمانية والداخل الخاضع لمشايخ القبائل<sup>(٦)</sup>.

كان لبناء الزوايا في الفكر السنوسي مكانة محورية فهي المكان الذي يجتمع فيه الأتباع لنشر الدعوة بين الأهالي ومن يجاورهم من القبائل أو رجال القوافل الذين يمرون بهذه الزوايا. جمعت الزاوية السنوسية بين الدور الديني والاجتماعي، فالزاوية كانت مركزا للعلم وشيوخ الزاوية يعلمون الأهالي شئون دينهم ودنياهم ويفصلون في المنازعات وينشرون الأمن والطمأنينة، كما حرص السنوسي على خلق الترابط بين تلك الزوايا التي امتدت في الأقطار من خلال البريد<sup>(٧)</sup>.

أسس محمد بن علي السنوسي عددا كبيرا من الزوايا في الحجاز وليبيا ومصر والجزائر والمغرب ووداي وكانم وبرنو... وغيرها، وكان ذلك انعكاسا لتلك الهيبة والنفوذ الروحي التي اكتسبته السنوسية في نفوس الأهالي في شتى البقاع، وأصبحت الزوايا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا في مواجهة أي عدوان<sup>(٨)</sup>.

اتخذ السيد محمد بن علي السنوسي من زاوية البيضاء<sup>(٩)</sup> في شرقي ليبيا والمطلة على البحر المتوسط مقرا ومركزا لدعوته، والتي جعل منها

نموذجاً يحتذى به، لكن ساوره الشك في نوايا العثمانيين في بنغازي بعد تزايد أتباعه ومريديه، فنقل مركز دعوته في ١٨٥٦ إلى الجغبوب<sup>(١٠)</sup> في جنوبي شرق ليبيا، فهي بعيدة عن الساحل وعن يد وعيون العثمانيين، ويقطن حولها جمع غفير من القبائل التي قبلت الدعوة السنوسية حيث تم الاعتماد عليهم لنشرها عبر الصحراء<sup>(١١)</sup>.

وتوطدت مكانة السنوسية - بما تلقته من معاونة وتأييد مشايخ القبائل - وانتشر نفوذها حتى قطعت شوطاً بعيداً في سبيل القيام بالدعوة والإرشاد وتشديد دعائم الإمارة التي جمعت بين السلطة الزمنية وبين النفوذ الروحي لدى أتباعها، وعند وفاة السيد محمد بن علي السنوسي في ١٨٥٩ كان قد وضع الأساس الرصين لدعوته وإمارته في الأراضي الليبية<sup>(١٢)</sup>.

أولاً - الأصول العرقية لقبيلة الزغاوة<sup>(١٣)</sup> ومدى ارتباطها بالتراب الليبي:

#### ١. أصل الزغاوة:

عرفت لفظة الزغاوة للمرة الأولى في اليمن في جنوبي شبه الجزيرة العربية، فأول من ذكرهم هو الراوي اليمني وهب بن منبه<sup>(١٤)</sup> وتذكر روايات الزغاوة أن بعض عاداتهم تعود في أصولها ومنبتها إلى القبائل اليمنية في شبه الجزيرة العربية<sup>(١٥)</sup> ويعتبر اليعقوبي أول من أشار إلى مملكة الزغاوة وذلك في القرن الثالث الهجري التاسع للميلاد، وذكر أنهم يقطنون في كانم وملكهم يلقب كاكراه وأنهم من البدو، وليسوا من أصحاب المدن، وعرفت مملكة الزغاوة باسم كانم، وهي تعني في لغة القرعان "الجنوب"<sup>(١٦)</sup>.

وامتدت حدود مملكة الزغاوة في كانم لتضم إليها بلما وكاوار في غرب تشاد، ولتصل حتى زويلا<sup>(١٧)</sup> في إقليم فزان في الشمال، أما في الشرق فكانت حدودها تحاذي بلاد النوبة، ووصفهم المهلي في القرن الرابع للهجرة العاشر للميلاد أن لهم مملكة واسعة تمتد من بحيرة تشاد إلى حدود النوبة<sup>(١٨)</sup> ويقول ياقوت الحموي عن الزغاوة أن أصولهم تعود إلى شعوب السودان، وأن مملكتهم كانت مملكة عظيمة من ممالك السودان يحدها من الشرق النوبة

المصرية، وهم أمم وشعوب كثيرة<sup>(١٩)</sup>. ومن أقدم قبائل الزغاوة الحوضن، كذلك توجد الساداتا Sadrata وهم من البربر الذين أصبحوا جزءا من الزغاوة وانصهروا معهم<sup>(٢٠)</sup> وكانوا من قبائل البربر الملثمين الذين اعتنقوا الإسلام<sup>(٢١)</sup> وهم أسلاف قبائل زغاوة البديات. وإلى الجنوب في تشاد عاش الزغاوة "شعوه" الذين لا يدينون بالإسلام<sup>(٢٢)</sup>.

تقع دار الزغاوة بين دائرتي عرض ١٨° - ١٥° شمالا، وخطي طول ٢٥° - ٢١° شرقا، وتبلغ مساحتها الكلية حوالي ٤٠ ألف كم<sup>٢</sup>، وكان قيام سلطنتي وداي ودارفور إيدانا باقتسام هذه المساحة فتوزع الزغاوة بينهما، ورغم ذلك لا تكثر الزغاوة بأمر الحدود فيما بينهم<sup>(٢٣)</sup>. جمع بين الزغاوة اللغة والدار وكان سلاطين وداي ودارفور تتعامل مع الزغاوة بمقتضى كياناتهم المتعددة في الدار لا على أساس أنهم يمثلون قبيلة أو مجموعة قبلية واحدة<sup>(٢٤)</sup>.

يتحدث الزغاوة ثلاث لهجات إلا أن الاختلافات بينهم طفيفة إلى حد ما، حيث لا يصعب عليهم التفاهم فيما بينهم واللهجة الأولى: التوبا Tuba وهي لهجة زغاوة البديات<sup>(٢٥)</sup>، واللهجة الثانية هي لهجة الكوبارا Kobara وهي لهجة زغاوة كوبي، واللهجة الثالثة يطلق عليها "وجي" Wegi وهي لهجة بقية فروع الزغاوة<sup>(٢٦)</sup>.

ويتضمن مصطلح الزغاوة أيضا تلك القبائل الصحراوية التي ترجع في أصولها إلى قبائل التيبو<sup>(٢٧)</sup> وسكان الكانم الذين كانوا يقطنون مناطق الصحراء في تبستي، ولعل شهرة الزغاوة كانت طاغية لدى المؤرخين المسلمين فأطلقوا هذا المسمى على تلك القبائل قاطبة<sup>(٢٨)</sup>. كما يذهب البعض إلى أن قبائل الزغاوة والتيبو انتشروا في المساحات الممتدة من إقليم فزان في ليبيا إلى صحراء بيوضة في غربي نهر النيل بالسودان وكانوا ينقسمون إلى قسمين: **القسم الأول**: وهم أولئك الذين يعيشون في مدينة جرمه في جنوب غربي ليبيا وهؤلاء تشربوا قدرا من الثقافة المصرية ولديهم عربات تجرها الخيول. **والقسم الثاني**: وهم من الجماعات البدوية الرحل<sup>(٢٩)</sup>.

وبرى ابن خلدون أن الزغاوة من البربر أو من الطوارق تحديدا وهؤلاء فرع من فروع صنهاجة البربرية، وأنهم وفدوا إلى أفريقيا من الشمال وأنهم اعتنقوا الإسلام فاتجه البدو الطوارق شمالا إلى مراکش فعرفوا بالمرابطين، ومنهم من اتجه جنوبا فعرفوا بالزغاوة.<sup>(٣٠)</sup> كما يذكر بطرس البستاني أن البربر سكنوا برقة وإريقية (تونس) والمغرب وانتشروا من الإسكندرية شرقا إلى طنجة غربا خاصة في ظل التشابه الواضح في الملامح بين البربر والعرب<sup>(٣١)</sup>. وكان لديهم رغبة قوية للاندفاع نحو الجنوب وأزاحوا الكثير من القبائل في طريقهم، وهم أمة مقاتلة بطبيعتها ذات نزعة عسكرية، وقد نشبت بينهم وبين قبائل الهوسا في غرب أفريقيا الكثير من الصراعات الدامية<sup>(٣٢)</sup>.

عاش الزغاوة في بيئة صحراوية قاسية، لا توجد فيها الطبيعة بالمياه الوفيرة إلا من خلال آبار قليلة متناثرة في الواحات والأودية، مما فرض عليها الترحال الدائم والمستمر نحو الجنوب، مما استدعى ميلهم نحو العنف وشيوع حالة الاحتراب وإراقة الدماء. ويروي ناختيجال Nachtigal أن زغاوة التيبو في فزان وتبستي كانوا عندما يلتقون يطيلون السلام حتى يطمئن كل فرد منهم على مقصد أخيه، خاصة وأغلب ملامح زغاوة التيبو بها علامات ظاهرة من جراء العنف المسلح<sup>(٣٣)</sup>.

وذكر بالمر Palmer أن أسلاف الزغاوة أصولهم من اليمن في شبه الجزيرة العربية، ثم عبروا البحر الأحمر وصولا إلى السودان وداي النيل ليكنثوا بها بعض الوقت، ثم استقروا في كردفان ودارفور ثم واصلوا اتجاههم إلى الصحراء ليستقروا بها، وأن النوبيين بمعاونة الرومان أزاحوا تلك العناصر الوافدة إلى الغرب<sup>(٣٤)</sup> وأنهم شقوا طريقهم إلى الغرب ما بين القرن الرابع والقرن السادس الميلادي عن طريق كردفان أو من غرب دنقلا<sup>(٣٥)</sup>.

ويذكر ترمينجهام Trimingham أن الزغاوة من الكوشيين "النوبيين" الذين انتشروا في المنطقة الصحراوية الممتدة ما بين فزان وبلاد النوبة وأنهم

ساهموا في نشر الثقافة النوبية في السودان الأوسط<sup>(٣٦)</sup> ليخرج بالمر برأي توفيقى فذكر أن الزغاوة الذين أسسوا مملكة كانم كانوا من الكوشيين، أما الزغاوة الذين نقلوا كانم من الوثنية إلى الإسلام فإنهم من البربر الطوارق الملتئمين<sup>(٣٧)</sup>.

ونخلص من ذلك أن الزغاوة مجموعات متعددة وقبائل كثيرة متنوعة المنبت، ما بين أصول بربرية وكوشية "نوبية"، إلا أنهم رغم ذلك كانوا عنصرا فعالا، وأسهموا في التاريخ السياسي بتأسيسهم لبعض الأسر الحاكمة في غرب أفريقيا، وشاركوا في التركيبة العرقية للسكان عن طريق المصاهرة، وعاشت جماعات كبيرة منهم وسط الطوارق البربر في الشمال، ويبدو أنهم لم يشكّلوا الأغلبية في كثير من المناطق التي عاشوا فيها، لكنهم رغم ذلك فرضوا سيادتهم ونفوذهم على الهوسا وسكان الكانم، وتجلّى ذلك في استخدام لغة الزغاوة كلغة مشتركة بين سائر المجموعات التي انضوت تحت سيادتهم. ويبدو أن تربعهم على القمة واستحواذهم على السلطة يعود إلى بأسهم وطبيعتهم المقاتلة<sup>(٣٨)</sup>. ومع تغير الخريطة السياسية في السودان الأوسط اتجه الزغاوة إلى العزلة عن القوى السياسية المحيطة بهم، لأنهم لم يعتادوا الإذعان لسلطة مركزية مما جعل تاريخهم يشوبه الالتباس والغموض<sup>(٣٩)</sup>.

## ٢. أهم قبائل الزغاوة ارتباطا بالتراب الليبي:

### أ. زغاوة البدايات:

تعد زغاوة البدايات من أهم قبائل الزغاوة وكانوا يعيشون في غرب النوبة حيث تلامس مناطق سكناهم في ون wun وانينجه Wanyanga الحدود الليبية مع تشاد، كما امتدت جماعات من زغاوة البدايات شرق العوينات في مصر حتى ثلاثينيات القرن العشرين، وتشير تقارير الاستخبارات أنهم كانوا يتجهون إلى واحة سيوة في مصر بشكل دائم ومستمر لبيع إبلهم وشراء زيت الزيتون والتمور والأرز... وغيرها من البضائع<sup>(٤٠)</sup> وامتد البعض منهم حتى واحات النخيلة وميرجي في شمالي

السودان، وتشير مسارات تحركاتهم أنهم كانوا يتجهون بشكل عام من الشمال إلى الجنوب، لذلك تسمى العشيرة الكبرى في زغاوة البديات "بالبيريارا Biriara وتعنى بلغة الزغاوة الذين جاءوا من أقصى الشمال<sup>(٤١)</sup>.

واستوطنت قبيلة زغاوة البديات في شرق الكفرة<sup>(٤٢)</sup> حتى بلاد النوبة وهم يشبهون العرب كثيرا في سماتهم وفي نمط حياتهم<sup>(٤٣)</sup>، ولعل ذلك دفع سلاتين باشا Slatin أن يطلق عليهم عرب البديات، وقد أعجب برقيق ملامحهم فهي أكثر قربا للعرب منها إلى العناصر الزنجية، وأن نسائهن جميلات كجميلات العرب، كما أعجب بجمال شعر نسائهن المتدلي<sup>(٤٤)</sup>.

وتتحد من قبيلة زغاوة البديات عدد من العشائر التي نقسم إلى مجموعتين رئيسيتين: أولهما: البيليا Bilia، وثانيهما: البروقات Barogat. ويعد رعي الإبل الحرفة الرئيسة لقبيلة زغاوة البديات، كما يمارس البعض منهم الزراعة وتربية الأبقار في البقاع الأكثر وفرة من المياه مثل وداي هور<sup>(٤٥)</sup>.

ويتحدث زغاوة البديات لهجة يطلق عليها "توبا" وهي أقرب لهجات الزغاوة إلى لغة التيبو أو القرعان، وتدعي جماعات كثيرة من زغاوة البديات الأصل العربي وأنهم وفدوا من ليبيا، وعند تتبع أنسابهم نجد أسماء غير عربية وخاصة المتقدمة منها كما تتنافى بعض عاداتهم وتقاليدهم مع العادات والتقاليد العربية والإسلامية، ولعل ذلك ما يدفع لإنكار تلك الأنساب على اعتبار أنها موضوعة أو منتحلة<sup>(٤٦)</sup>. إلا أن زغاوة البديات لم يكونوا وحدهم من ادعى النسب العربي فكثير من القبائل ادعت هذا النسب، ولعلها محاولة للهروب من الماضي الوثني الموروث وتعميقا للانتساب للعرب بعد اعتناق الإسلام.

### ب. زغاوة التيبو:

تعتبر قبيلة زغاوة التيبو من القبائل ذات الجذور الراسخة في المنطقة الصحراوية بمختلف عشائريهم، وقد أطلق عليهم العرب "القرعان"، وكانوا يقصدون بالزغاوة كل التيبو، وربما جذب الزغاوة عناية هؤلاء الكتاب لانهم

أقوى المجموعات في المنطقة وأكثرهم شهرة<sup>(٤٧)</sup> وهم سكان تبستي<sup>(٤٨)</sup> وبوركو<sup>(٤٩)</sup> وإنبيدي<sup>(٥٠)</sup>.

وكانت بعض جماعات من زغاوة التيبو من البدو المتجولين الذين انتشروا في الصحراء الممتدة من إقليم فزان حتى صحراء بيوضة في غرب النيل بين دنقلا وكردفان<sup>(٥١)</sup> وكانوا ينقسمون إلى مجموعتين: **أولهما**: على قدر من الثقافة التي اكتسبوها من احتكاكهم وتواصلهم من خلال حركة التبادل التجاري والمصاهرة مع مصر وليبيا. **ثانيهما**: وهم جماعات البدو في قلب الصحراء حيث كانوا أقل حظا من الثقافة والتحضر عن بني عمومته<sup>(٥٢)</sup>.

#### ثانيا - السنوسية والحفاظ على الأمن والاستقرار في دار الزغاوة:

وكانت أولى الخطوات التي أقدم عليها السنوسي الكبير في سبيل إرشاد قبائل الصحراء لنشر تعاليم الإسلام بينهم هو العمل على بسط الأمن في هذه المنطقة وكان ذلك عن طريق حث قبائلها على التخلي عن عادات السلب والنهب والإغارة، فاهتم بقبيلة زوية<sup>(٥٣)</sup> العربية التي انتزعت واحة الكفرة من زغاوة التيبو وأجبرتهم على النزوح إلى الجنوب<sup>(٥٤)</sup>.

واتخذت قبيلة زوية واحة الكفرة أرضا للسطو فكانوا لا يرحمون من يخترق أراضيهم فلم تخل قافلة تمر بالكفرة من النهب والسلب أو الاضطراب لدفع الإتاوات، وهذا ما جعل زوية على عداء مستحکم مع القبائل الأخرى التي تقع إلى الجنوب منها والتي تقطن جنوب الكفرة كزغاوة البديات وزغاوة التيبو<sup>(٥٥)</sup>. وذكر السنوسي أنه كان يهدف بوصوله إلى الكفرة وبناء زاويتين بها مجاورة أهالي وجنقة<sup>(٥٦)</sup> من زغاوة البديات وحثهم على إصلاح ذات البين مع قبيلة زوية العربية<sup>(٥٧)</sup>.

وأثمرت جهود السنوسي الكبير الإصلاحية، فأرسلت قبيلة زوية وفدا إلى الجغبوب نقلوا إليه قبولهم للطريقة السنوسية، وعاهدوه على أن يوقفوا النهب ومهاجمة القبائل الأخرى، وعرضوا عليه ثلث أملاكهم في الكفرة، إذا رضى أن يرسل إليهم أحد تلامذته لنشر العلم ولإنشاء زاوية، ولبي السنوسي

مطلبهم وأنشأ زاويتين بالكفرة. (٥٨)

ويبدو أن نتائج تلك الخطوة التي اتخذتها قبيلة زوية كان له عظيم الأثر على كافة القبائل المحيطة بها، بعد أن كفت عن مسلك السلب والنهب والإغارة على القبائل المجاورة لها وخاصة قبيلة زغاوة البديات، فتوطدت الصلات بينهما لدرجة أن استقبلت زغاوة البديات أعدادا من أبناء قبيلة زوية أقاموا في أراضيها وتصاهروا مع أبنائها (٥٩)

وذاعت شهرة السيد محمد بن علي السنوسي بين القبائل في طول الصحراء وعرضها ليس فقط باعتباره داعية ومرشدا روحيا ولكن أيضا كحاكم له نفوذ واسع، فهو لم يدخر وسعا في سبيل ممارسة نفوذه على تلك القبائل. فكانت هناك قافلة ضخمة تتبع الشيخ محمد بن إبراهيم الزغاوي من دارفور، فتعرض قطاع الطرق للقافلة وأغاروا عليها ونهبوا ما بها من بضائع ودواب وجواري ونفائس فاتخذ إجراءين: **أولهما**: تتبع قطاع الطرق في فيافي الصحراء واستعان بعدد من قصاصي الأثر لمعرفة مسارات هروبهم عبر الصحراء، ثم أرسل عدد من الجنود الأشداء لإلقاء القبض عليهم ثم اقتيادهم لينالوا الجزاء الوافي لفعلتهم. **ثانيهما**: أرسل عينونه إلى الأسواق في مختلف البلدات المجاورة لتتبع ما قد يتسرب من البضائع وصولا إلى سارقها، كما أرسل منادين في الأسواق بتجريم من يتعامل سواء بالبيع أو بالشراء في بضائع مسروقة على اعتبار أن ذلك اعتداء على حد من حدود الله (٦٠).

**والتساؤل الذي يطرح نفسه ما هي الدوافع التي جعلت السنوسي**

**يقدم على تلك الإجراءات؟**

ويبدو أن ما دفع السنوسي إلى اتخاذ هذا الإجراء أمران: **أولهما**: إشاعة الأمن والاستقرار وذلك حفاظا على انتظام حركة التبادل التجاري والتي تعد صنوا لسيادته. **وثانيهما**: السعي لبسط نفوذه تعزيزا لتأسيس الزوايا لنشر الإسلام واستقطاب أكبر عدد من الأتباع والمريدين للطريقة السنوسية، فالاعتماد على المكانة الروحية و فقط غير مجزئ لنشر الإسلام



والطريقة السنوسية، فلا بد من تعزيز ذلك بأدوات السيادة وهذا ما قام به. وأشارت تقارير الاستخبارات السودانية لتعهد القبائل في الصحراء جنوب ليبيا بعد اعتناق الإسلام واتباعها للطريقة السنوسية، ألا تقوم بمهاجمة القوافل، أو الاعتداء عليها أو سلب بضائعها ونفائسها، مما أشاع الاستقرار والأمن، وساهم في نمو حركة التبادل التجاري بين مدن وبلدات ليبيا والقبائل في جنوبها<sup>(٦١)</sup>.

وأشارت تقارير الاستخبارات المصرية إلى أن السيد محمد المهدي السنوسي سعى إبان وجوده في الكفرة في دراسة طبوغرافية الطريق الرئيس الرابط بين الكفرة ودار الزغاوة، فأرسل لهذا الغرض ثلاث بعثات متتالية في عام ١٨٩٥ وقدمت تلك البعثات إليه تقريرا وأفيا عن المسافة وكم مرحلة بالجمال، والوقت اللازم لقطع تلك المسافة، وأفضل الأماكن التي يمكن اتخاذها استراحات، وأماكن الآبار ومدى جودة ونقاء المياه ومدى صلاحيتها لسقى الأفراد والرواحل، وتقديرهم المبدئي لما تحويه من مياه كما حثهم على استكشاف آبار جديدة يمكن الاعتماد عليها في هذا الشأن. وذكر التقرير أن المسافة بين الكفرة وآبار الزغاوة على بعد ٢١ يوما، وأنه تم تمكنوا من اكتشاف خمسة آبار، وأوضح التقرير ما عانته إحدى البعثات من اعتداء للصوص في نهاية الرحلة<sup>(٦٢)</sup>.

وكان ذلك الاعتداء دافعا لإرسال السيد محمد المهدي السنوسي تجريدة مسلحة بالبنادق قوامها ١٨٥ من راكبي الإبل لتتعقب للصوص وقطاع الطرق، وكذلك للتحقق من المعلومات التي جاءت بها البعثات، إلا أن للصوص لاذوا بالفرار ما إن تواترت أخبار خروج التجريدة، ولم تتمكن التجريدة من إلقاء القبض عليهم. كما تم إرسال تجريدة أخرى قوامها ١٢٥ رجلا اتجهت إلى أمبرو<sup>(٦٣)</sup> في قلب دار الزغاوة وبحوزتهم رسالة إلى السيد مصطفى حجر نائب السنوسي للاستعانة بالتجريدة لمواجهة اللصوص، وذلك لتحقيق تأمين طرق النقل والتجارة عبر الصحراء بين ليبيا ودار الزغاوة بشكل دائم ومستمر<sup>(٦٤)</sup>.

## التساؤل الذي يطرح نفسه عن ماهي الدوافع التي جعلت السيد

محمد المهدي السنوسي يقوم بتلك الإجراءات في الجنوب؟

ذكر الكاتب الإيطالي سيرا Sera الدافع من وراء انتقال المهدي السنوسي إلى الكفرة ١٨٩٥ لرغبته في تأسيس ملك مستقل كامل السيادة يمتد عبر القارة الأفريقية من الحدود المصرية شرقا إلى شاطئ المحيط الأطلسي غربا، ليسيّط على كل طرق التجارة من ساحل البحر المتوسط إلى السودان، وذلك تدعيما لسيطرته على موانئ البحر المتوسط كبرقة وسرت كمنافذ ترد منهما الأسلحة والذخائر والمؤن.<sup>(٦٥)</sup>

وتعتبر مواجهة حركة التصير التي كانت تقوم بها فرنسا من أهم الدوافع التي وجهت السيد المهدي السنوسي إلى ولوج هذا الدرب بالتوجه نحو الجنوب والغرب واستكشاف أخطاره للدعوة إلى الإسلام ونشر الطريقة السنوسية، وتعزيز ذلك بتأسيس الزوايا التي لم تكن فحسب مناير للهدى بل إنها كانت مراكز حكومية تسهر على الأمن والاستقرار. فكان وجوب تدعيم الصلة بين السنوسية مع وداي وبقية الإمارات الإسلامية حول بحيرة تشاد مثل برقو - كانم... خير وسيلة لنشر الإسلام وذيوع المبادئ والتعاليم السنوسية ثم تجنب الأخطار التي أهدقت بتلك البلاد من جهة أخرى.<sup>(٦٦)</sup>

## ثالثا - السنوسية والدعوة للإسلام في أرض الزغاوة:

كانت الصلات التجارية بين البربر وجماعات الزغاوة عبر فزان دافعا مهما لمعرفة الزغاوة بالديانة الإسلامية، واهتم البربر كثيرا بنمو وتطور حركة التجارة مع الزغاوة، وكانت زويلا عاصمة فزان مركزا تجاريا مهما لدرجة أن حاكم زويلا في النصف الأول من القرن التاسع عشر ابو عبيدة بن عبد الحميد الدجاوي كان يتحدث لغة الزغاوة بالإضافة للبربرية والعربية فكان البربر تجارا ودعاة إلا أن سيطرة البربر لم تدم طويلا على فزان حيث حل محلهم أسرة بنو محمد في القرن العاشر للميلاد<sup>(٦٧)</sup>

بدأ اعتناق الزغاوة للإسلام في عهد الملك أومي جلبي Hume

Jilmi (١٠٨٧ - ١١٠٨) الذي أشهر إسلامه، بل توجه لأداء شعيرة الحج وتوفى في مصر أثناء رحلته، وسار على دربه عدد كبير من أبناء شعبه، لكن المناطق الأخرى التي تنتشر فيها قبيلة الزغاوة على اختلاف عشائريهم فقد تفاوت وصول الإسلام إليهم. ومع تولى دونمه همي Dunama Hume (١١٠٨ - ١١٦٣) الذي أدى شعيرة الحج مرتين، وقام بجهود لنشر الإسلام وزيادة رقعة نفوذه<sup>(٦٨)</sup> إلا أن عزلة بعض قبائل الزغاوة في قلب الصحراء أثرت بشكل سلبي على وصول الإسلام إليهم لبعدهم عن مراكز الإشعاع الحضاري والفكري<sup>(٦٩)</sup>.

أدرك السنوسي الكبير أثناء إقامته الطويلة في الحجاز أهمية بناء قاعدة عريضة لدعوته الصوفية الإصلاحية، وتسنى له ذلك من خلال لقاءاته الموسعة التي كان يعقدها مع الوافدين لأداء شعائر الحج من أبناء السودان الأوسط وداي والصحراء. وكان من أهم الشخصيات التي تعرف عليها السيد محمد الشريف الذي أصبح سلطانا على وداي ١٨٣٥ - ١٨٥٨ وظل خلال تلك الفترة من أتباع السنوسية وأكثر المتحمسين لها<sup>(٧٠)</sup>.

اهتمت الحركة السنوسية بحكم تمرکزها في ليبيا بالدعوة إلى الإسلام في الحزام السوداني، وخاصة في السودان الأوسط، ونشطت في إعاقة ووقف حملات التصير في تلك البقاع<sup>(٧١)</sup> وكانت تلك المبادرات التي قام بها السنوسي لدى زغاوة البديات سبقتها بعض المساعي المنطلقة من ليبيا ولعل من أهمها جهود أبي يحيى النفوسي أحد أشهر الدعاة في جبل نفوسة بعد أن أعتنق الإسلام أحد ملوك الزغاوة على يديه بل وحسن إسلامه. ولم تجد السنوسية صعوبة في التعامل مع القبائل الصحراوية " زغاوة البديات - زغاوة القرعان - الزوية وغيرها وذلك لما لها من تجربة في تعاملها مع قبائل الحجاز حيث شاعت شهرة السنوسي لدرجة أن قطاع الطرق إذا علموا أن في القافلة من ينتسب للسنوسية لا يتعرضون لها احتراما لها، كما ساد بين قطاع الطرق ما لدعوة السنوسي من اعتبار<sup>(٧٢)</sup>.

وقام السنوسي بخطوته التالية نحو قبيلة زغاوة البديات في وجنقة حيث أرسل لهم وفدا في عام ١٨٥٠ دعاهم إلى الامتثال لأوامر الله، واتباع

سنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وإقامة الصلاة في مواعيدها، وصيام شهر رمضان، وأداء الزكاة، وحج البيت الحرام من استطاع إليه سبيلا، واجتناب ما نهى الله عنه من آفات اللسان: الكذب والغيبة والنميمة وشهادة الزور، وعدم فعل المنكرات من أكل أموال الناس بالباطل ومعاقرة الخمر وعدم اقرار جريمة القتل بغير حق، وغير ذلك مما نهى الله عنه ونظير ذلك نيلهم رضا الله في الدنيا وفردوسه في الآخرة. وأردف الوفد مطلبه ذلك بالامتثال لطاعة السنوسي وحكمه والدخول في أمره وسيادته. (٧٣)

ودعا السيد محمد بن علي السنوسي إبان وجوده في الحجاز السيد محمد الشريف إلى أتباع السنوسية فاستجاب له، ومع تولى محمد الشريف منصب سلطان الزغاوة في وداي ١٨٥٣ - ١٨٥٩ ظل طوال فترة حكمه من أكابر أتباع السنوسية ومن الصادعين بأمرها والمستمعين إلى نصائح شيخها (٧٤). وقد وظف السنوسي علاقاته مع محمد الشريف لضمان نجاح دعوته الإصلاحية الهادفة إلى ارشاد زغاوة وداي ونشر الإسلام فيما بينهم (٧٥).

وفي سبيل نشر الإسلام وزيادة عدد أتباع طريفته الصوفية، اشترى السيد محمد بن علي السنوسي عددا من رقيق الزغاوة من سوق الجغبوب، وأشرف على تربيتهم وتعليمهم تعليما إسلاميا صوفيا، ثم أعنتهم بعد أن تشبعوا بتعاليم الإسلام الحنيف وأصبحوا من أتباع السنوسية، فأرسلهم إلى بلادهم لنشر الإسلام السمع الحنيف والطريقة السنوسية بين أهلهم (٧٦).

**ولعل تساؤل قد يتبادر إلى الذهن حول الدافع الذي جعل السنوسي يقدم على ذلك ومع أبناء تلك القبيلة بالذات ؟**

ولعل دافعه من وراء ذلك أن لقبيلة الزغاوة ما ليس لغيرها من القبائل من المكانة والهيبة وسعة النفوذ، فاعتناقها الإسلام ثم دخولها في طائفة أتباع السنوسية سيكون حافزا لاستقطاب المزيد من القبائل الخاضعة لنفوذهم، مما يمكنه من تحقيق أهدافه (٧٧).

وتميزت زعامة محمد المهدي السنوسي للحركة السنوسية ١٨٥٩ -

١٩٠٢ والذي سعى لتركيز نفوذ السنوسية في منطقة الصحراء جنوبي ليبيا وشمال ووسط تشاد والسودان، وذلك بعد أن تم نقل مركز الحركة السنوسية من الجغبوب إلى الكفرة (١٨٩٥ - ١٨٩٩) وعمل على انشاء عدد من الزوايا منها زاوية في وجنقة في زغاوة البدايات في عام ١٨٥٠، وثانية في قرو Garo في تبستي وتقع غرب وجنقة الكبرى بمسافة ثلاثة أيام وكان مُقدمها " الفاضل الأديب سيدي محمد بن عبدالله السني " أحد دعاة الإسلام وكان من سنار، كما حظيت منطقة وجنقة بزواوية أخرى فأصبحت إحداهما تعرف بالوجنقة الكبرى والأخرى بالوجنقة الصغرى، هذا بالإضافة لزواوية أخرى في ون wun في بوركو... (٧٨)

وكانت الزوايا السنوسية تقوم بمهام دعوية متعددة، فمقدم الزاوية هو المسئول الرئيس حيث يتولى أمور القبيلة التي تعود إليها الزاوية، كما أنه يفصل في خصوماتها، ويبلغها أوامر شيخ الطريقة، كما تقام بها الصلوات وتلقى فيها الدروس في مختلف العلوم الشرعية والسنة والسيرة النبوية...، كما كانت مقرا لاستضافة المسافرين لثلاثة أيام على نفقة الزاوية (٧٩).

وتشير تقارير الاستخبارات السودانية إلى استقرار عدد من دعاة السنوسية في زاويتي وجنقة الكبرى والصغرى بين قبيلة زغاوة البدايات، وأن كثيرا منهم لا يزال على الوثنية، وأشار التقرير إلى ارتفاع وتيرة اعتناقهم للإسلام وتعلم مبادئه واتباعهم الطريقة السنوسية (٨٠). بل إنهم قد أضحوا شديدي الالتزام بتعاليمه رغم حداثة عهدهم به، بل وأبدوا الحماسة لنشر العقيدة الإسلامية والطريقة السنوسية لغيرهم (٨١).

ويتضح أن الخطوات والإجراءات التي قامت بها الحركة السنوسية في دار الزغاوة كان لها مردود واضح، فقبائل زغاوة البدايات في وجنقة وأفيدي، زغاوة التيبو في تبستي، وبوركو وعدد من قبائل وداي كانوا محطا للنفوذ الروحي والسياسي للحركة السنوسية في خواتيم القرن التاسع عشر ومستهل القرن العشرين، وذلك بعد أن نجحت الحركة السنوسية في تطويق واحتواء الجهود التصيرية لقبائل الصحراء بإدخالهم في السنوسية (٨٢).

ودأب زعيم قبيلة زغاوة البديات السيد حجر باتي روزمي "Hajar Batte Rouzzami" على أن يرسل الصبية لتعلم قواعد الإسلام تحت إشراف السيد محمد المهدي السنوسي في الزاوية، خاصة بعد أن حظى مقدمو الزوايا على مكانة ونفوذ روحي واجتماعي كبير بين القبائل<sup>(٨٣)</sup> وتجلّى ذلك النفوذ الروحي والاجتماعي بل والسياسي للسنوسية أن سلطان وداي يوسف بن محمد<sup>(٨٤)</sup> شريف (١٨٧٤ - ١٨٩٩) كان لا يبيت في أمر إلا بعد أن يسأل السيد محمد المهدي السنوسي وأن قراراته وأفعاله كانت رهنا لمصالح السنوسية، خاصة بعد أن ذاع صيتها وعظم تأثيرها<sup>(٨٥)</sup> كما قام السيد محمد المهدي السنوسي بحثه على عدم التجاوب مع أي دعوة صوفية أخرى وخاصة الدعوة المهدية<sup>(٨٦)</sup>.

#### رابعا - الزغاوة بين السنوسية والمهدية:

أدرك محمد أحمد المهدي<sup>(٨٧)</sup> في السودان وادي النيل الأهمية الاستراتيجية لسلطنة وداي في خطته الدعوية، حيث شكلت وداي معبرا هاما إلى ليبيا حيث المهدي السنوسي الذي سعى محمد أحمد المهدي كثيرا لاستمالاته والتعاون معه. وكانت أولى تلك الخطوات بعد دخوله إلى الأبيض حاضرة كردفان في ١٨٨٣ حيث بعث ثلاثة رسائل إلى يوسف بن محمد سلطان وداي، دعاه للاستجابة لدعوته وأن يهاجر إليه مع أهله<sup>(٨٨)</sup> وعبر في رسالته الثانية عن تقديره وامتنانه لسلطان وداي لهداياه القيمة، وخيره محمد أحمد المهدي بينه وبين السنوسية، كما بين له في رسالته تلك أنه على تواصل مع المهدي السنوسي واما قريب سينضم إليه للاشتراك في الجهاد<sup>(٨٩)</sup> لكن حافظ سلطان وداي على ولائه للسنوسية ولم ينخرط في الدعوة المهدية، هذا على الرغم من تظاهره بقبول الدعوة المهدية اتقاء لسطوة المهدي وبأس جيشه<sup>(٩٠)</sup>.

رفض جانب كبير من الزغاوة الدعوة المهدية وذلك لتمسكهم بنظامهم القبلي ونفورهم من المساس بما لديهم من حكم ذاتي، ناهيك عن النفوذ الطاعي لسلطان وداي يوسف بن محمد الذي رأى في المهدية خطرا داهما يهدد دولته واستقلاله، فعول على تلك القبائل كي تكون بمثابة منطقة

حاجزة يتقي بها شر الدولة المهدية، هذا بالإضافة لاتباعه للسنوسية بل وإخلاصه في الدعاية لها والزود عنها، فأفضى ذلك إلى التنافس بين الحركتين لكن السنوسية كانت لدى الزغاوة أقوى أثرا بكثير<sup>(٩١)</sup>.

أرسل محمد خالد زقل<sup>(٩٢)</sup> عامل المهدية في دارفور حملة بقيادة عمر محمد خير ترحووا<sup>(٩٣)</sup> في عام ١٨٨٥ إلى دار الزغاوة، لإخضاعها وتأديبها والحيلولة دون تمردهم على النظام القائم، وكان لتلك الحملة رد فعل حيث شاع الفرع في وداي من أن تجتاحهم جيوش المهدية، فأرسل السلطان يوسف إلى الفاشر أنهم في انتظار المهدي السنوسي ليهاجروا معه<sup>(٩٤)</sup> وكان من المنطقي أن يتوجس أهل وداي وسلطانهم خيفة من اقتحام جيوش المهدية دار الزغاوة فأرضهم هي المدخل الرئيس من جهة الشرق إلى وداي، كما أنها قريبة من عاصمتهم أبشي<sup>(٩٥)</sup>. وغنمت الحملة من دار الزغاوة الكثير من الأموال والجمال والأبقار وعزلوا سلطانهم عبد الرحمن فرتي الموالي للسنوسية، كما اصطحبت الحملة عددا من سادة الزغاوة ووجهائها إلى الفاشر لضمان ولائها واذعانها<sup>(٩٦)</sup>.

ودارت رحى معركة حامية في دار الزغاوة - على إثر وفاة محمد أحمد المهدي في يونيو ١٨٨٥ - بين قوات الدولة المهدية وبين قبائل عرب المحاميد والنوابية الذين أشاعوا الاضطرابات بين قبائل الزغاوة، فسفكوا الدماء، هتكوا الأعراض، وسلبوا الدواب، فسارعت قوات الدولة المهدية بقيادة إلياس أم برير<sup>(٩٧)</sup> بالانقضاض على تلك القبائل الثائرة لنجدة الزغاوة وضمانا لولائهم للدولة المهدية<sup>(٩٨)</sup>، ولمحاولة قطع الصلة بينهم وبين وداي أو فزان استئصالا لولائهم للدعوة السنوسية<sup>(٩٩)</sup>.

شاركت قبائل الزغاوة بكافة عشائرها بدعم من سلطان وداي يوسف بن محمد في ثورة يوسف إبراهيم<sup>(١٠٠)</sup> ضد الدولة المهدية وتكبدت الزغاوة الكثير من الرجال والعتاد لكن منى يوسف إبراهيم بالهزيمة في نهاية المطاف، وادراكا من عامل المهدية عثمان آدم<sup>(١٠١)</sup> (١٨٨٨ - ١٨٩٠) لقيمة ودعم سلطنة وداي أرسل إلى سلطانها مكتوبا يخبره فيه بالانتصارات التي

حققتها جيوش المهديّة على قوات يوسف إبراهيم الذي شق عصا الطاعة، وحذر السلطان من مغبة إيواء الفارين من رؤوس الفتنة في أراضيّه، لأن ذلك قد يجلب عليه المتاعب (١٠٢) كما وجه تهديداً إلى السلطان بأنه يعلم أن حجم الدعم والعتاد والسلاح والذخائر التي قدمها في ثورة يوسف إبراهيم، وأن معاودته اقتراف مثل ذلك الخطأ مرة أخرى ستجعل منه وأراضي وداي هدفاً مباشراً لجيوش المهديّة وليس هو وحده، بل كل من يقدم له العون ويسعى إلى إعاقة تقدم الدعوة المهديّة نحو الغرب (١٠٣).

كان لعثمان آدم آمال وطموح في مد نفوذ المهديّة والتوغّل نحو الغرب في وداي وكانم، وعرف يقينا حجم وقيمة نفوذ السنوسية الروحي والفكري في تلك البقاع، وأنها تشكل الحائل الحقيقي دون توغل المهديّة، وبعد أن أطمئن على الأوضاع في دارفور، وأن القبائل التي حملت لواء الثورة ضد المهديّة دانت بالطاعة وأعلنت الولاء وكان منهم قبائل الزغاوة الذي رضى منها عثمان آدم إعلانها الإذعان للمهديّة (١٠٤).

نصح الخليفة عبدالله التعايشي عامله عثمان آدم ألا يطمئن إلى إذعان قبائل الزغاوة الذي أعلنوه بألسنتهم للدعوة المهديّة فهم يبتنون غير ذلك فأساليبهم الخديعة والمكر، إن رأوا منك وهنا أو لينا فسيعيدون الكرة مرة أخرى، والوسيلة الوحيدة لضمان ولائهم هي تهجيرهم قسريا إلى أم درمان حتى يكونوا تحت نظر الخليفة، فهم في بقاع قصية ومن اليسير عليهم الفرار عبر وداي أو فزان (١٠٥).

استشار عثمان آدم الخليفة عبدالله التعايشي في قيامه بحملة كبيرة على سلطان وداي لضم أرضه، التي تقف حائلا دون انتشار الدعوة المهديّة في تلك الأصقاع، كما أنه لا يأمن غدره في أي وقت، خاصة وأن هناك قبائل كالزغاوة على تواصل معه، ولم يتزحزحوا جميعا عن الولاء الباطني للسنوسية رغم أنهم يظهرون غير ذلك. لكن الخليفة عبدالله التعايشي لم يأذن له بذلك بل وحذره من سلوك ذلك الدرب (١٠٦) ويبدو أن الخليفة رأى أنه لا يجب أن تفتح جبهة أخرى على الدولة المهديّة، فهناك الصراعات المسلحة



مع الحبشة<sup>(١٠٧)</sup> في الشرق، والتوتر والضغط من الجبهة الشمالية مع مصر، ناهيك عن الاضطرابات الداخلية المتوالية، كما أنه مازال يطمح في نيل تأييد السنوسي واستقطابه إلى دعوته مما يزيد قوة وفاعلية، ولا ينفك ينظر الخليفة التعايشي عبدالله للسنوسي كمنفذ لجلب السلاح والذخيرة والعتاد من ذلك الحصار المفروض عليه.

سعى الخليفة عبدالله التعايشي إلى الدعوة للمهدية في فزان، فأصدر تعليماته إلى عثمان آدم بأن يتخير عدد من الرجال الثقات لمرافقة مندوب الخليفة الفقيه محمود المغربي حتى يبلغوا فزان، وأكد على أن يكونوا واسعوا الحيلة سريعو البديهة، وأن يكونوا عارفين بمسالك الطرق ودروب الصحراء<sup>(١٠٨)</sup> واشترط عليهم أن يتخيروا طريقا إلى فزان لا يمر عبر وداي، ولا بالمنطقة التي يسيطر عليها السنوسي، فاختر عثمان آدم مجموعة من الزغاوة لكنهم أبلغوه أن فزان لا يمكن الوصول إليها إلا عبر هذين الطريقين الذي يشترط الخليفة عبدالله التعايشي تفاديهما<sup>(١٠٩)</sup> لذا فشلت بعثة محمود المغربي في الوصول إلى فزان، فعاد إلى أم درمان<sup>(١١٠)</sup>. وفي ذلك دلالة على أن طموح المهديّة نحو نشر دعوتها في عقر دار السنوسية لهو هدف لم تتح الفرصة لتحقيقه، وبطبيعة الحال لم تكن الحركة السنوسية غافلة عن كل ذلك، بما استوجب عليها القيام بالدفاع عن مقدراتها من طغيان المهديّة عليها في عقر دارها. ويبدو كذلك أن الزغاوة كانوا أكثر القبائل معرفة بالطرق والدروب المؤدية إلى ليبيا، نسبة إلى أنها متاخمة لأراضيهم.

وبعث الخليفة عبدالله التعايشي إلى المهدي السنوسي برسالة يدعوه فيها إلى اعتناق المهديّة ونصرتها والدعوة لها، وبعاتبه على عدم قيامه بأية خطوات فعّالة في هذا الإطار، وأنه يتنظر منه ردا على ذلك، إلا أن المهدي السنوسي لم يكثرث بالرد على تلك المراسلات، والتي كانت تجعل منه تابعا للمهدية، وهذا ما رفضه بوضوح، ولكنه لم يظهر ذلك<sup>(١١١)</sup>. وذلك إما استهانة بالمهدية - وهذا مستبعد - أو لبعده المكاني عنها وعدم قدرتها على الوصول إليه في ظل صراعاتها الداخلية والخارجية، في حين أن المهديّة هي

من كانت تسعى إليه طلبا لنصرته وتوحيد قوتها معا وضمانا لتهدئة الجبهة الغربية. فكان ظن الخليفة عبدالله التعايشي أن قبائل الزغاوة وغيرها من القبائل الحدودية تبطن الولاء للسنوسية، وكل من يسانداهم وعلى رأسهم سلطان وداي، وما دانت للمهدية إلا لقوة بأس جيوشها<sup>(١١٢)</sup>.

اندلعت ثورة<sup>(١١٣)</sup> تزعمها شخص لُقِبَ بأبي جميزة<sup>(١١٤)</sup> وهو شاب من قبيلة القرعان إحدى قبائل الزغاوة أدعى بداية أنه محمد المهدي السنوسي، وأنه ترك ليبيا غازيا المهدي في عقر دارها<sup>(١١٥)</sup>. وأذاع أبو جميزة في القبائل أنه موفد من قبل المهدي السنوسي في ليبيا مما أكسبه نفوذا روحيا وأدى إلى تحلق القبائل من حوله، وذكر كذلك أنه هدفه هو القضاء على الدولة المهديّة<sup>(١١٦)</sup> كما راسل الخليفة عبدالله التعايشي في أم درمان، وأخبره أنه موفد من المهدي السنوسي وطالبه بكرسي خلافة عثمان بن عفان<sup>(١١٧)</sup> الذي كان شاغرا<sup>(١١٨)</sup> ولم يكتف بذلك بل وطالب الخليفة عبدالله التعايشي بالاعتراف به كخليفة مستقل<sup>(١١٩)</sup>.

**السؤال الذي يطرح نفسه إلى أي درجة ساهمت السنوسية في**

**خلق تلك الثورة وتقديم الدعم لها ؟**

تلقى أبو جميزة زعيم تلك الثورة وقائدها تعليمه منذ نعومة أظفاره في واحة الجغبوب، حيث نهل من معين الدعوة السنوسية، وكان تحت الرعاية الشخصية للسيد المهدي السنوسي حيث جرى إعداده لسنوات من صقل لمواهبه التي ساعدته كثيرا وتجلت في: قوة شخصيته، وشجاعته وقدرته على مواجهة التحديات، والذكاء المتقد وسعة الحيلة، والفصاحة والبيان، والصوت الجمهوري النافذ إلى العقول والأفئدة، والغموض الذي اكتنف ظهوره، ناهيك عن قدراته الخارقة للعادة في التأثير في العامة مستعينا في ذلك بما يسحر عيونهم وعقولهم بما يشبه المعجزات، وكان ذلك مدعاة لتحلق الناس من حوله<sup>(١٢٠)</sup>. فقد انتهج السنوسي نهجا واضحا لنشر دعوته وبذل في سبيل ذلك الشيء الكثير، حيث درج على جلب الفتيان وشراء الغلمان من الأسواق، وتربيتهم تربية إسلامية معتدلة وبث الدعوة السنوسية

لديهم، وعندما يصلون إلى مرحلة من النضج والتشبع بالدعوة، فإنه يعيد إرسالهم إلى بني جلدتهم لنشر الدعوة السنوسية، لكنه في حالة أبو جميزة كان الوضع جد مختلف فهو مطالب بإزاحة المهديّة التي لها مؤيدين، كما لها جيوش يخشى بأسها الجميع، ولذا لا بد من أن تتوفر له من الأدوات ما يساعده على النجاح (١٢١).

**ورغم كل تلك الصفات التي تحلى بها أبو جميزة فإن ذلك ليس كافياً لإسقاط المهديّة، فلا بد من منظومة أخرى تدعم ذلك الرجل الذي جرى تجهيزه والتي كانت كالتالي:**

**أولها:** كانت الأداة الفعّالة في سبيل تحقيق الهدف المنشود هم أولئك السلاطين وزعماء القبائل، الذين تغولت المهديّة على سلطانهم أو على الأقل هدّدت نفوذهم، فكان على رأسهم زعماء الزغاوة مثل عبد الرحمن فرتي الذي عزل لولائه للسنوسية وكذلك عبد الرحمن دوقي، كما انحازت له قبيلة الفور وعلى رأسهم زعيمهم أبو الخيرات إبراهيم، وبنو هلبه بزعامة إبراهيم الوالي، وكذلك سلاطين دار تاما (١٢٢) والمساليث (١٢٣) ودار قمر (١٢٤)، هذا بالإضافة بطبيعة الحال لسلطان وداي يوسف بن محمد (١٢٥).

**ثانيها:** كان من العوامل التي ساعدت على انتشار ثورة أبو جميزة عامل المفاجأة، فعلى الرغم من مراقبة عثمان آدم للقبائل وتحركاتها، إلا أن أبا جميزة نجح في مغافلة الإدارة المهديّة وعيونها والدعاية لفترة ليست بالقصيرة بين قبائل غرب وشمال دارفور وشرق وداي (١٢٦).

**ثالثها:** أعلن أبو جميزة أنه موفد من قبل المهدي السنوسي ومؤيدا منه ويلقى منه كل دعم وتأييد، خاصة في ظل ولاء عدد من القبائل للدعوة السنوسية وخاصة قبائل الزغاوة وهي قبائل شديدة البأس، فسعت القبائل إلى عدم تسرب أنباء دعوته - متى كان ذلك ممكنا - ريثما يشتد عودها، فأحاطوا الأمر بالسرية والكتمان، ودعم ذلك ابتعاد أشد وأهم القبائل موالة لأبي جميزة عن قبضة المهديّة، حيث لم تكن سيطرتها كاملة عليها كونها بعيدة عن الفاشر (١٢٧).

**رابعها:** كانت قبائل الموالاتة تلك من أكثر القبائل وفرة بالرجال، هذا بالإضافة لقدرتها على مناجزة الدولة المهدية في القتال لفترات ليست بالقصيرة لوفرة المياه والحبوب في أراضيها، ناهيك عن عدم تأثرها بما عانته القوات المهدية من آثار مجاعة ١٣٠٦<sup>(١٢٨)</sup>، وكذلك لقدرتها على جلب ما تحتاجه من سلاح وذخيرة عبر فزان أو من وداي، التي شكلت رصيذا استراتيجيا للثورة<sup>(١٢٩)</sup>.

وكان من المنطقي تنمة لتلك الخطة التي جرى تنفيذها بدقة، أن يتنصل السنوسي في ليبيا من أي صلة له بما يحدث في دارفور، فمصر رغم انسحابها من السودان لكن اهتمامها مازال منصبا على تتبع بل وترصد الدولة المهدية، فما إن تواترت الأنباء عن نجاحات الثورة وانضمام البلاد والعباد إليها، بما ينذر بسقوطها وصلة ذلك بالدعوة السنوسية وأنها هي المحرك والداعم الأساس من وراء ستار فمعنى ذلك أن هناك امكانية أن تحل السنوسية محل المهدية في السودان، وهذا ما يضع السنوسي في حال إزاحة المهدية في مواجهة مع مصر- وهذا ما لا يطيقه - لذا سعى المهدي السنوسي في ليبيا بنفي ذلك، وبشكل رسمي واعتبرها مجرد شائعات، وأنها محض افتراء، ولا صلة له بتلك الأحداث<sup>(١٣٠)</sup>.

راسل عثمان آدم الخليفة عبد الله التعايشي وأبلغه بشق الزغاوة عصا الطاعة، وأنهم يبذلون كل جهد لديهم من رجال وخيول وسلاح وذخائر<sup>(١٣١)</sup> بل وبالغ الزغاوة مع ظهور مؤشرات نجاح الثورة في الدفع نحو السيطرة على الفاشر<sup>(١٣٢)</sup> وبينت الوثائق أن أبا جميزة تلقى دعما غير مسبوق من الخيول والسلاح والذخائر من قبائل الزغاوة من معركة إلى أخرى<sup>(١٣٣)</sup> ورغم انكسار الثورة في الفاشر في أكتوبر ١٨٨٩، ووفاة أبو جميزة بمرض الجدري، إلا أن الزغاوة استمروا في عدائهم للمهدية على الرغم من ارسال عثمان آدم الرسائل لإعادتهم إلى طاعة المهدية، بل وصل الأمر أن أنذرهم بإرسال الجيوش لإخضاعهم<sup>(١٣٤)</sup>.

وأبدى الزغاوة مقاومة لقوات المهدية في عدة معارك، مما دفع

عثمان آدم إلى تجهيز جيشا لإخضاعهم، واستشعرت بعض زعامات الزغاوة الخطر على القبيلة، فسارعوا إلى الفاشر لاسترضاء عثمان آدم وطلب العفو منه، فقبل منهم ذلك (١٣٥). أدرك عثمان آدم أنه لا مندوحة من تسيير حملة عسكرية هي بمثابة مظاهرة مسلحة، فسار نحو الغرب لإرهاب سلطان وداي وكافة القبائل التي لم تعلن ما يليق من خضوع للمهدية، كي لا يعاودوا شق عصا الطاعة مرة أخرى، ومع سقوط الأمطار الغزيرة في فصل الخريف، سرت الأمراض في جيش عثمان آدم، فتساقط الجند صرعى الوباء بالمئات، مما دفع عثمان للانتسحاب سريعا حفاظا على جيشه، لكنه أرسل تجريدة إلى دار الزغاوة لتأديبهم، ولم يلبث طويلا حتى دب المرض في جسد عثمان آدم فتوفى في الفاشر في أكتوبر ١٨٩٠ (١٣٦).

تولى محمود ود أحمد في يناير ١٨٩١ فقام من فوره بتعزيز التجريدة التي استقرت في دار الزغاوة بقوة أخرى من الجنود في أمبرو في قلب دار الزغاوة، كي تحافظ على ولائهم للمهدية بالقوة، وتراقب تحركاتهم، وتمنع اشتراكهم في أي عمل عسكري ضد الدولة المهدية (١٣٧) فدار الزغاوة لها موقع محوري فهي تسيطر على الطرق المؤدية إلى سلطنة وداي ودار تاما ودار قمر ودار المساليت (١٣٨).

وسعى سلطان وداي في سبتمبر ١٨٩٣ بدعم من المهدي السنوسي إلى تأليب الزغاوة وبقية قبائل الغرب على المهدية، فأرسل محمود ود أحمد جيشا إلى دار الزغاوة بقيادة بريمة آدم إلى أمبرو، كما اصطحب محمود ود أحمد معه إلى كردفان زعماء الزغاوة الموالين من أمثال مصطفى بحر والزين صالح وغيرهم، وتمكن الجيش من هزيمة تلك القبائل وتفريق جمعها (١٣٩) كما جمع جيشا من قبائل الزغاوة الموالية ووجههم إلى إخوانهم من الزغاوة الذين ما زالوا على ولائهم للدعوة السنوسية في دار فرتي فهزموهم (١٤٠).

كانت التحركات العسكرية التي قامت بها المهدية في دار الزغاوة، وإقدامها على الدفع بالزغاوة الموالين لها على مقاتلة الزغاوة المعارضين لها

والموالين في الوقت ذاته للسنوسية " زغاوة فرتي - زغاوة دوقي" دافعا لإرسال سلطان وداي جيشا لمناصرة حلفائه من الزغاوة الموالين للسنوسية في مواجهة إخوانهم وبنى عمومتهم من الزغاوة الموالين للمهدية<sup>(١٤١)</sup>. أدرك السنوسي أن الإجراءات التي أقدمت عليها المهدية لهو تحول خطير على الدعوة في تلك الأصقاع، لأنها تؤسس للقضاء على مكانة السنوسية وتمدها، فسارع بتقديم دعمه لحملة يقوم بها سلطان وداي لشن الهجوم على الموالين للمهدية من الزغاوة، ردا على ما اقترفوه في حق الموالين للسنوسية، وذلك بهدف تعزيز مكانة السنوسية لدى قبائل الغرب قاطبة، وترسيخ أن السنوسية تقوم لنصرة أتباعها وتزود عنهم بكل ما استطاعت، فقامت الحملة بتأديب ومعاقبة الزغاوة الموالين للمهدية لما اقترفوه من اعتداءات، وما إن ترامى إلى مسامعهم خروج جيش لمواجهتهم حتى سارعوا بالانسحاب بعد تحقيق هدفهم<sup>(١٤٢)</sup>.

سارع محمود ود أحمد بإنفاذ السرايا لردع سلطان وداي عن دار الزغاوة، لكن جيش وداي انسحب سريعا على الرغم من أنه كان على مسيرة يوم من أمبرو، فلم يظفر به جيش المهدية. وأرسل محمود ود أحمد إلى الخليفة يخبره بأن سلطان وداي لا ينفك يحث سلاطين وقبائل غرب دارفور والمناطق الحدودية على شق عصا الطاعة، فرغّب إلى الخليفة مهاجمة وداي<sup>(١٤٣)</sup>، لكن الخليفة رفض وحذره من سلوك ذلك الدرب، وطلب منه أن يكتفي بترهيبه وكل من يتعاون معه بما تحت يديه من قوات<sup>(١٤٤)</sup>.

ويبدو أن الخليفة قد أصاب في قراره، فقد بلغ الروع من سلطان وداي مبلغه مع اقتراب جيش المهدية من حدوده، فأسرع بإنفاذ جيشه ليقف على الحدود حماية لأراضي السلطنة، كما وجه سلطان وداي التقريظ لزعامات الزغاوة التي لم تحرك ساكنا أمام تلك الأحداث الجسام، ولتخاذلهم عن نصرة حلفائهم. وفي رحلة عودته إلى الفاشر شن محمود ود أحمد الهجوم على زغاوة فرتي، وزغاوة دوقي الذين ظلوا على ولائهم للسنوسية، فشتت شملهم ومن ساندهم من بقية الزغاوة<sup>(١٤٥)</sup>.

وقام محمود ود أحمد في يناير ١٨٩٦ بجولة تفقدية في غربي دارفور والمناطق الحدودية، ثم رفع إليه تقريرا بأن الغرب يحتاج إلى حاميات عسكرية مستقرة لحفظ الأمن ورد أي اعتداء خارجي، ثم عرض على الخليفة عبدالله التعايشي القيام بحملة ضد سلطنة وداي معللا ذلك أنها السبب الرئيس في اضطراب الأوضاع وإثارة القلاقل والفتن، وأنها حلقة الوصل بين السنوسية في ليبيا والقبائل<sup>(١٤٦)</sup>. فوافق الخليفة على تشكيل حاميات، حماية للحدود ولمراقبة الخصوم ولإرهاب المعتدين، كما طلب منه أن يأتي إليه في أم درمان على جناح السرعة ريثما ينتهي من أمر الحاميات العسكرية للتباحث في أمر سلطنة وداي<sup>(١٤٧)</sup>. إلا أن حملة استرداد السودان (١٨٩٦ - ١٨٩٨) عاجلت الدولة المهديّة ونقضت غزلهما فاستولت على دنقلا ١٨٩٦، ثم قامت بمد السكة الحديد<sup>(١٤٨)</sup> بدء من وداي حلفا مخترقة صحراء العظمور ومترسمة نهر النيل من أبي حمد وصولا إلى أم درمان حيث كانت هناك معركة فاصلة انتصرت فيها الحملة على القوات المهديّة، ليتغير مسرح الأحداث في السودان<sup>(١٤٩)</sup>.

**خامسا - الزغاوة والتعاون بين السنوسية وعلي دينار<sup>(١٥٠)</sup> في مواجهة التدخل الأجنبي:**

كان انتقال السيد المهدي السنوسي إلى الكفرة عام ١٨٩٥ إيذانا بمواجهة مرتقبة مع الفرنسيين إزاء توغّلهم في وسط وغرب أفريقيا، وبسط نفوذهم على الإمارات الإسلامية، فعمل المهدي السنوسي على توطيد علاقاته مع وداي، فأرسل إلى سلطانها يوسف بن محمد مبعوثه السيد المرتضى أبو خريص، ثم لتتوطد الروابط مع إرساله للسيد محمد بن عبدالله السني ليوطد نفوذ السنوسية في وداي وبرقو وعين كلك وقرّو هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كان انتصار القوات الفرنسية على رابح فضل الله<sup>(١٥١)</sup> جعل السنوسي في مواجهة مباشرة معهم حيث زحفت القوات الفرنسية لاحتلال كانم وانتزاعها من السنوسيين، فقرر المهدي السنوسي الانتقال إلى برقو عام ١٨٩٩، وذلك لتنظيم المقاومة واتخاذ التدابير اللازمة لمواجهة القوات

الفرنسية الزاحفة صوب بحيرة تشاد، والتي كانت تهدد كانم تهديدا مباشرا (١٥٢).

## ١. الزغاوة والتعاون بين السنوسية وعلي دينار في مواجهة الزحف الفرنسي:

وكان اقتراب القوات الفرنسية من الزوايا السنوسية جعل المهدي السنوسي يسعى لتكوين جبهة متحدة منه ومن وداي ودارفور لمواجهة الزحف المتقدم<sup>(١٥٣)</sup>، فقد كان الواقع يستدعي أن يتقوى كل طرف منهم بالأخر<sup>(١٥٤)</sup>. وفي هذا الصدد اتجهت جهودهم لمقاومة الزحف الفرنسي على الإمارات الإسلامية في واداي وكانم وتبستي، الذي عمل على الاستيلاء على الزوايا السنوسية وهدمها<sup>(١٥٥)</sup>.

فأرسل السنوسي سيدي محمد البراني إلى كانم فبنى زاوية في بئر العلالى وطفق يجمع جيشا من قبائل زغاوة التيبو، وزغاوة البديات، والطوارق، وأولاد سليمان، والزوية، والمجبرة لمواجهة الجيش الفرنسي لكن القوات الفرنسية تمكنت من ازاحة السنوسيين من كانم بعد أن حققت نصرا ١٩٠٢<sup>(١٥٦)</sup>، كما قام الشيخ غيث عبدالجليل سيف النصر شيخ قبيلة أولاد سليمان في كانم بمقاومة الزحف الفرنسي بداية من عام ١٨٩٩ وخاض مع الفرنسيين سلسلة من المعارك، وتشكلت قواته من قبائل الزغاوة والقرعان (أحد بطون الزغاوة)، بالإضافة إلى الطوارق وقبائل ورقلة والقذافة، وقدرت أعداد قواته بخمسة آلاف مقاتل، حيث تمكن من إيقاف الزحف الفرنسي في كانم، وألحق الهزيمة بالقوات الفرنسية خلال معاركه معهم خلال ١٨٩٩ - ١٩٠٠ إلى أن استشهد في معركة بئر العلالى نوفمبر ١٩٠١<sup>(١٥٧)</sup>.

وأرسل المهدي السنوسي إلى علي دينار سلطان دارفور (١٨٩٨ - ١٩١٦) يطلب منه تقديم العون له في مواجهة الزحف الفرنسي، فأرسل له علي دينار خمسمائة من أخلص رجال الزغاوة أتباع الدعوة السنوسية وزودهم علي دينار ببنادق الرمنجتون Remington لتعزيز قوات السنوسية ولعل ذلك أبلغ مثال على إدراك السلطان علي دينار لقيمة رجال



الزغاوة في دارفور كجنود أوفياء للسنوسية، ولذا خصهم بالذهاب لنصرتها في مواجهة القوات الفرنسية، وبذلك تكون قبائل الزغاوة في وادي ودارفور قامت بنصرة السنوسية والزود عنها على قدر ما تيسر لها من امكانات.

وأرسل السنوسي السيد صالح بوكريم الزوي ليتولى تنظيم حركة المقاومة في تبستي، وكانت قبائل الزغاوة والقرعان على رأس القبائل التي قدمت العون بالرجال والعتاد لحركة المقاومة ضد الزحف الفرنسي خلال الفترة ١٩٠٣ - ١٩٠٩ في تبستي، وخلال تلك المعارك تمكن من تحقيق الانتصار على قائد الفلانة الموالي لفرنسا فتم الانتصار عليه ومحاكمته، كما استمرت حركة المقاومة بقيادته، والتي ساهمت فيها قبائل الزغاوة خلال الفترة ١٩١٠ - ١٩١٣ إلى أن أمره الشريف السنوسي بالعودة بمن معه من قوات لمواجهة الزحف الإيطالي في الشمال (١٥٩).

ويتضح بذلك أن قبائل الزغاوة في وادي بشقيها " زغاوة التيبو - زغاوة البديات " وكذلك قبيلة الزغاوة والقرعان في تبستي وكانم كانت ركنا رئيسا في مواجهة التدخل الفرنسي، بالتعاون مع الدعوة السنوسية، التي شكلت القوة الروحية، والمنطلق الفكري التي استمدت منها قبائل الزغاوة الرغبة والدافع الحقيقي للمواجهة مع القوات الفرنسية، من منطلق ديني صوفي في المقام الأول.

خصص السلطان على دينار على إثر اندلاع العمليات العسكرية في وادي نقطة عسكرية حصينة على الحدود مع وادي في دار الزغاوة في منطقة تسمى "قوراوية" (١٦٠) ثم شحنها بالسلاح والعتاد والرجال من أبناء الزغاوة، وكانت لهم مهام محددة وهي أعمال المراقبة وجمع المعلومات الخاصة بالقتال وابلغ السلطان بالمستجدات، ومراقبة من يعبر الحدود من الأفراد والجماعات وحصرهم في دفاتر لاستئذان السلطان في عبورهم، ولتخصيص لهم مكان يعيشون فيه، ولم توكل إليها مهام قتالية (١٦١).

كان اندلاع العمليات العسكرية التي خاضتها السنوسية مع القوات الفرنسية في وادي دافعا لهجرة قبائل كثيرة منها قبائل المحاميد

والسلامات<sup>(١٦٢)</sup>، الذين اتجهوا شرقا إلى دار الزغاوة في عام ١٩٠٨ واستقروا بها، وكان بصحبتهم أكثر من أربعة آلاف جمل ومائتين من الخيل<sup>(١٦٣)</sup>. كما أجبرت العمليات العسكرية الفرنسية بعد وصولها إلى إنبيدي في ١٩١١ الطوارق على الهجرة خاصة بعد تدمير القوات الفرنسية لزاويتي بسكره والدور ليتوجهوا إلى دار الزغاوة، وكان عددهم ثمانمائة رجل وأكثر من ثلاثة آلاف من النساء والأطفال، وكان بصحبتهم عدد كبير من الإبل والضأن وكذلك حوالي ثمانمائة بندقية<sup>(١٦٤)</sup>.

أدى دخول القوات الفرنسية منتصرة إلى أبشي عاصمة وداي في ١٩٠٩ إلى فرار سلطان وداي دود مرة (١٩٠٢ - ١٩٠٩)<sup>(١٦٥)</sup> الذي انسحب إلى دار الزغاوة، كي يواصل منها التدبير للمقاومة، لكن القوات الفرنسية داهمت دار الزغاوة في عام ١٩١١ مما أثار حفيظة الزغاوة، وتعرض السلطان دود مرة للإصابة أثناء المداهمة، فاضطر إلى اللجوء وهو جريح إلى دار المساليت<sup>(١٦٦)</sup>. فكانت دار الزغاوة هي الحاضنة التي احتوت سلطان وداي، فقد كانت بمثابة منطقة التجهيز للمقاومة ضد الزحف الفرنسي والمنطلق للوثوب عليه لإزاحته.

كانت أطماع الفرنسيين واسعة في أرض الزغاوة خاصة في دار فرتي مسقط رأس سلطانها عبد الرحمن فرتي الموالي للسنوسية، فأرسلوا تجريدة ضده، فقد أذاعوا أنه أحد أطراف حركة المقاومة ضد القوات الفرنسية بالتعاون مع القوات السنوسية وسلطان وداي، وأنه لم يعلن خضوعه لهم وتبعيته لسلطتهم في أبشي، على الرغم من أنه كان تابعا لسلطان وداي بما يستوجب - من وجهة نظرهم - ضم أراضيه، ولذا تقرر إنفاذ تلك التجريدة التي تخلصت منه في موقعة وداي الطينة في ديسمبر ١٩١٢ مع ستة من أبناءه الذكور وعدد من الأتباع<sup>(١٦٧)</sup>. ولم تشكل تلك الاعتداءات اعتداءً على دار الزغاوة فحسب، بل شكلت اعتداء على سيادة دارفور وزعزعة مكانة وهيبة سلطانها.

## ٢. علي دينار والدعوة السنوسية في دارفور:

كان السنوسي يسعى إلى توسيع رقعة دعوته وتأسيس زوايا جديدة في دارفور، خاصة بعد أن قوى نفوذه في وداي على حدود دارفور الغربية<sup>(١٦٨)</sup> وكتب المهدي السنوسي إلى علي دينار في ١٩٠٢ يطلب منه السماح ببناء عدة زوايا في مدن وبلدات أمبرو ومليط... وغيرها في دار الزغاوة، وكذلك في بعض المدن والبلدات الهامة الأخرى، إلا أن علي دينار رأى أن تكون الزوايا في مناطق أخرى أقل أهمية وأكثر قربا من الفاشر، وهذا ما لم يعجب المهدي السنوسي فاستدعى السنوسي وفده<sup>(١٦٩)</sup>.

وترددت الشائعات عن نية المهدي السنوسي الذهاب إلى دارفور كي يقيم في جبل مره، وأن علي دينار يستعد لاستقباله، بل إن صحيفة الوطن المصرية ذكرت ذلك في معرض حديثها وأكدت أن السنوسي وصل بالفعل إلى الفاشر وأن علي دينار قد استقبله وأقسم له يمين الولاء، لكن الوافدين من دارفور كانوا يكذبون هذه الشائعات<sup>(١٧٠)</sup> وتخبرونا تقارير الاستخبارات بوفود العديد من دعاة السنوسية البارزين الذين تمكنوا من الوصول إلى دارفور فقاموا بداية بالدعوة للسنوسية في دار الزغاوة، ثم اتجهوا بالدعوة في كل أرض دارفور ومن أهمهم أبو بكر الغدامسي، وأحمد السنوسي، ومحمد الفواطي وغيرهم<sup>(١٧١)</sup>.

أقبل السيد أحمد الشريف السنوسي يدير شؤون الدعوة في يونيو ١٩٠٢ بعد وفاة المهدي السنوسي بكل همّة ونشاط من الكفرة التي ظلت مقرا لحكمهم ومركزا لنشاطهم<sup>(١٧٢)</sup>، وكرر نفس الطلب من السلطان علي دينار بتأسيس زوايا سنوسية في دار الزغاوة وفي بقية أراضي دارفور، لكن موقف علي دينار ظل ثابتا في معارضة إنشاء زوايا سنوسية في بلاده، ورغم ذلك استمرت الصلات بينهما وتبادل الهدايا، والرسائل التي تحمل عبارات الاحترام والتقدير المتبادل<sup>(١٧٣)</sup>. إلا أن السنوسي سرعان ما أنشأ زواوية في طريق القوافل بين الكفرة ودارفور بالقرب من دار الزغاوة<sup>(١٧٤)</sup>.

وكان علي دينار يخشى من تغلغل الدعوة السنوسية في دارفور،

لأن ذلك يجعل منها شريكا بل ومنازعا له في سيادته على دارفور، لأن القبائل حينئذ قد يتنازعا ولاءان: أولهما: الولاء للسلطان، وثانيهما: الولاء للدعوة السنوسية. وحقق علي دينار بحسن علاقته مع السنوسية مكانة ونفوذاً في وداي فمكانة السنوسية كانت راسخة ونفوذها متأصل، ولعل ذلك ما جعل وداي تعيق تمدد المهديّة وتواجهه<sup>(١٧٥)</sup> كما حقق أيضا ديمومية تزويده بالسلاح والذخيرة عبر القوافل التي كانت تصل إلى الفاشر، خاصة في ظل الحصار الذي فرضته عليه حكومة السودان<sup>(١٧٦)</sup>.

### ٣. حكومة السودان واستخدام ملف النزاع القبلي ضد تحالف السنوسي - دينار:

أبدت حكومة السودان اهتماما واضحا بتحركات السنوسي وعلاقاته مع دارفور ووداي، ويتضح ذلك من إرسال العيون سرا لمراقبة تحركاته وتقصى أخباره<sup>(١٧٧)</sup>، وكذلك تدوين كل التفاصيل في تقارير الاستخبارات السودانية، والتي كانت تشي بالتقارب فيما بينهما<sup>(١٧٨)</sup> مما جعل الحكومة تضع في حسابها احتمال مواجهة عمل عدائي من السنوسي وعلى دينار سلطان دارفور في وقت واحد<sup>(١٧٩)</sup>.

وكان سلطان دارفور على دينار من الحنكة والدهاء ما جعله يدرك مخاطر معرفة حكومة السودان لطبيعة العلاقة مع السنوسي، فسعى لتغطية علاقاته مع السنوسي أمام حكومة السودان، والتظاهر أمامها بأنه عين الحكومة على تحركات السنوسي، وأن من واجبه أن يبلغها بتحركاته لدرجة أنه أرسل يستأذن ألا يسمح للسنوسي بعبور دارفور لأداء فريضة الحج، متعللا بكبر حجم أتباعه وحرسه، وعدم قدرة دارفور على الوفاء بمؤنة كل تلك الأعداد<sup>(١٨٠)</sup>.

كانت قبيلة الكبابيش<sup>(١٨١)</sup> واحدة من أهم القبائل التي اعتمدت عليها الإدارة المصرية (١٨٢١ - ١٨٨٥) في السودان بشكل جلي، وسمحت لها بالمشاركة في إدارة شؤون البلاد، حيث شكلت القاعدة الاجتماعية العريضة لترسيخ الوجود المصري في كردفان بوجه خاص والسودان بوجه عام، كما

ارتبطت مصالحها الاقتصادية مع الإدارة حيث كانت تمارس تجارة الرقيق ما بين دنقلا ودارفور<sup>(١٨٢)</sup> وأسندت لهم الإدارة حماية القوافل من قطاع الطرق فكانوا يجوبون الصحراء على ظهور الإبل والخيول، وقد منحتهم حكومة السودان امتيازات إدارية ومالية واسعة جعلتهم من أكثر القبائل ولاءً لحكومة السودان<sup>(١٨٣)</sup>.

اعتادت قبائل الكبابيش في دنقلا وغربي كردفان من جهة وقبائل الزغاوة في دارفور ووادي من جهة أخرى شن الغارات المتبادلة على بعضهما البعض، بغرض السلب والنهب للإبل والأبقار والنساء والغلمان، ولم تشكل المسافة عبر الصحراء حائلا دون تحقيق ذلك، حيث كانت لهم عبر الصحراء القاحلة أبار وواحات، وهي ذاتها كانت محطات يترصد بها كل طرف للآخر<sup>(١٨٤)</sup>. ولعل الدافع الرئيس لحالة الكراهية المتبادلة فيما بينهما صراعاتهم القديمة على منطقة بئر العطرون<sup>(١٨٥)</sup> وعلى مناطق الرعي في مراعي الجزو بين إنبيدي ووادي هور<sup>(١٨٦)</sup>، حيث كانت تتقارب مراعي القبيلتين<sup>(١٨٧)</sup>.

شن الكبابيش غارة كبيرة على الزغاوة في دارفور عام ١٩٠٢ وغنموا ألف وخمسمائة من الإبل، ومثلهم من الأبقار، هذا بالإضافة لعدد كبير من الأغنام والضأن، بالإضافة لأكثر من أربعمئة امرأة وأموال وغلمان. مما دعى السلطان على دينار إلى تهديدهم، كما قدم دينار شكوى إلى مدير كردفان الذي استدعى ناظر الكبابيش على التوم الذي أنكر كل تلك التهم<sup>(١٨٨)</sup>.

وشن الكبابيش غزوة شاملة على قبائل الزغاوة في عام ١٩١٢ غنموا منها الكثير من الإبل والأبقار والأموال والنساء والغلمان، فرجع السلطان على دينار شكواه إلى السير ونجت Wingate الحاكم العام (١٨٩٩ - ١٩١٦)، لكنه أدرك أن حكومة السودان قد صرفت النظر عن شكواه، وأنها تخفى جرائم الكبابيش، بل وتدفعهم للقيام بها، رغم أنها قادرة على ردعهم<sup>(١٨٩)</sup>.

كانت عمليات النهب المنظم التي كان يقوم بها الكبابيش ضد قبائل الزغاوة تحت رعاية حكومة السودان، وكان يجري التنسيق لها مع ناظر الكبابيش على التوم، وذلك بهدف إضعاف على دينار وإنهالك قواه وهز صورته، والأخذ من هيئته في نظر الرعية، تمهيدا للإجهاد عليه. ولعل الدافع من وراء ذلك طبيعة علاقات علي دينار مع السنوسيين التي دفعت حكومة السودان للارتياح في نواياه، خاصة مع ما هو معلوم عن السنوسية من عدائهم للاستعمار الأوروبي الذي كان يتكالب على المنطقة، ومواجهتهم لحملة التصير (١٩٠) فقد أثار حكومة السودان اقترب جيوش السنوسي من حدود دارفور الغربية من عام ١٨٩٩ وذلك إبان قتاله للفرنسيين، هذا بالإضافة لظهور مؤشرات على التعاون الوثيق بين السنوسية وعلى دينار، ثم إقدام السنوسي على إيفاد مبعوثيه لإثارة قبائل الكبابيش للثورة على حكومة السودان، وهو الجهد الذي لم يكلل بالنجاح لشدة ولاء الكبابيش لحكومة السودان لارتباط مصالحهم معها (١٩١).

كانت قبائل الزغاوة من أتباع السنوسية والموالين لها، وأفتى بعض علماء السنوسية أن الكبابيش ممن يوالون الكفار، بما يعنى أن قيام الزغاوة بشن العمليات المسلحة عليهم جهاد ومقاومة للاحتلال في الوقت ذاته، وأكسبت تلك الفتاوى عمليات الزغاوة المسلحة مشروعية دينية وسياسية مما أدى إلى اتساعها فشنت قبائل الزغاوة على الكبابيش خلال الفترة (١٩٠٢ - ١٩٠٦) ست غارات (١٩٢) ولم يقف الأمر عند ذلك بل خرجت عملية مسلحة من قبائل الزغاوة والبديات وكانوا مسلحين بالبنادق، بالتعاون مع أهل فزان والطوارق و قبيلة زوية من الموالين للسنوسية في خريف ١٩١٢ ضد قبائل الكبابيش غنموا فيها الكثير من الإبل والأموال (١٩٣).

وتعرض الكبابيش لعملية مسلحة ومنظمة في ديسمبر ١٩١٢ قامت بها قبائل الزغاوة بالتعاون مع أهل فزان من أتباع السنوسية، وكانت تلك العملية من التنظيم أنها انقسمت إلى فرقتين: الأولى: توجهت إلى كبابيش دنقلا فهاجمتهم واستولت على قوافلهم، وما تحمله من متاع وبضائع ناهيك

عن الإبل والأموال، وتوجه القسم الثاني: إلى كبايش كردفان فاستولى على قرابة ألفين من إبلهم وحوالي خمسمائة من النساء والغلمان، فأرسلوا الإبل وما تحمله من متاع وبضائع إلى فزان ثم عسكروا على مسافة يومين من دار الكبايش<sup>(١٩٤)</sup> بما يعد تحد صريح للكبايش، فتلك عادة عربية قديمة وهي المكوث ثلاثة أيام بالقرب من ساحة القتال، تأكيدا للنصر، ورغبة في تأكيد سيادتهم وأنهم سادة الصحراء بلا منازع.

يتضح أن العملية على درجة عالية من التنظيم والتخطيط حيث أنهم هاجموا الكبايش في دنقلا وكردفان في آن واحد، وحافظوا على السرية وبالتالي كان عنصر المفاجأة لدى الكبايش جليا، مما أعجزهم عن مجاراة المهاجمين أو حتى الزود عن أنفسهم، فأضحوا فريسة لسلب متاعهم وبضائعهم وإبلهم، يتضح كذلك التنسيق والتوافق بين الزغاوة وأهل فزان الذي صب في الجانب الإيجابي للعملية المسلحة.

وأشارت تقارير الاستخبارات إلى قيام الزغاوة بشن عملية مسلحة شاملة على قبائل الكبايش في يناير ١٩١٣ بالتعاون مع أهل فزان، وصحب تلك العملية المسلحة بعض من مشايخ السنوسية ومنهم الشيخ يوسف ود سلطان السنوسي الذي ترأس تلك العملية، وكان المقاتلون يحملون البنادق، وقدرت التقارير عدد المهاجمين بحوالي أربعمائة من الفرسان، فنهبوا القوافل وما تحمله من بضائع، وأشاعوا الفوضى في دار الكبايش في كردفان، وقتلوا ثلاثين من الكبايش، وأسروا عددا كبيرا من النساء والغلمان، وتكرر للمرة الثانية اقامتهم لمعسكر لهم امتد لأيام بالقرب من دار الكبايش على طريق القوافل<sup>(١٩٥)</sup>.

وخاطب السير ونجت الحاكم العام السلطان على دينار في دارفور، بأن يكف قبائل الزغاوة عن الاعتداء على الكبايش في كردفان ودنقلا، فهم يهددون طرق القوافل ويحدثون اضطرابا للأمن وطالبه بإنشاء نقاط مسلحة في أرض الزغاوة لمراقبتهم ومنعهم من الاعتداء<sup>(١٩٦)</sup>. وكان رد السلطان عليه أنه سيعكف على تنفيذ ما طلبه الحاكم العام بمنتهى السرعة، لكن ذلك لا

يجول دون اندلاع الاضطرابات بين القبائل، حيث أن تلك النقاط المسلحة ستمنع الزغاوة من القيام بالهجوم، لكنها لن تحول دون قيام الكبابيش بالاعتداء على الزغاوة أو غيرهم من قبائل شمالي دارفور<sup>(١٩٧)</sup>.

وأرسل ونجت الحاكم العام إلى السلطات البريطانية في القاهرة لمخاطبة الشريف السنوسي لوقف تلك العمليات المسلحة، ولكف أذى أتباعه والموالين له من قبائل فزان وزوية والطوارق، ممن قاموا بشن تلك العمليات المسلحة على الكبابيش في كردفان ودنقلا، بالتعاون مع قبائل الزغاوة، وطالبت السلطات البريطانية من الشريف السنوسي رد البضائع والأحمال التي جرى الاستيلاء عليها، وكذلك تعويض المضارين ودفع ديوات القتلى<sup>(١٩٨)</sup>.

كانت حكومة السودان قد كلفت السلطان على دينار بإقامة مجموعة من الأكنمة ونقاط المراقبة والرصد على أطراف دار الزغاوة، وفي مناطق التماس بين القبائل، للحيلولة دون نشوب الاعتداء، وعندما رأت منه بوادر للعصيان والتقارب مع السنوسيين في ليبيا اتبعت نحوه سياسة مختلفة، حيث كلفت قبيلة الكبابيش بإقامة مجموعة من الأكنمة ونقاط المراقبة والرصد على طريق القوافل "درب الأربعين" الذي يربط بين دارفور ومصر، وكذلك الحال مع السنوسيين في ليبيا، وذلك من خلال تمركزهم في بعض واحات الصحراء مثل العطرون وسليمة، وذلك بغرض الحيلولة دون وصول السلاح والذخيرة وقطع الاتصال مع السنوسيين<sup>(١٩٩)</sup>.

وحالت دوريات الكبابيش ونقاط مراقبتهم دون وصول الذخائر والسلاح إلى السلطان على دينار، فقد تمكنوا من الاستيلاء على قوافل عديدة كانت تحمل السلاح والذخيرة موجهة من السنوسيين إلى على دينار عبر طريق درب الأربعين ومسالك الصحراء المختلفة، وسمحت الحكومة للكبابيش بأن يحصلوا على كل ما تصل إليه أيديهم من سلاح وذخيرة، هذا بالإضافة لما كانت قد قدمته لهم من قبل من دعم كبير من الأسلحة والذخائر<sup>(٢٠٠)</sup> كما شكلت الكبابيش بزعامة على التوم قوات غير نظامية كانت تسير



بمحاذاة قوات التجريدة التي عسكرت في شمالي دارفور إبان تجريدة دارفور ١٩١٥-١٩١٦ وكان لها دور في تأمين المعلومات، وفي تقديم الدعم اللوجستي، والحيلولة دون تحرك قبائل شمال دارفور مثل الزغاوة والميدوب لنصرة السلطان علي دينار<sup>(٢٠١)</sup>.

#### سادسا - الحرب العظمى والتحالف العثماني مع السنوسيين وعلى دينار:

كان تزايد نفوذ ألمانيا السياسي والاقتصادي في الدولة العثمانية مؤشرا مهما لبريطانيا بدخول الدولة العثمانية إلى جانب ألمانيا والنمسا ضد بريطانيا وفرنسا وروسيا في الحرب، وسيترتب على ذلك تداعيات خطيرة على رعايا بريطانيا المسلمين في آسيا وأفريقيا على إثر إعلان الخليفة العثماني الجهاد ضدها<sup>(٢٠٢)</sup>. ولذا سعت بريطانيا إلى تهيئة الأذهان ومقاومة الدعاية العثمانية المرتقبة التي ستعتمد على مقام الخليفة وزعامته الروحية في العالم الإسلامي<sup>(٢٠٣)</sup>. فشجعت بريطانيا الشريف حسين على الثورة ضد الدولة العثمانية وبذلت الوعود له بتحقيق الاستقلال وخلافة عربية تكون له الولاية عليها<sup>(٢٠٤)</sup>.

ورأت الدولة العثمانية أن الاستيلاء على مصر بما لها من قيمة وأهمية كمرکز لتجميع القوات القادمة من الهند وجنوب أفريقيا واستراليا... وتدريبها وتجهيزها، وكذلك للسيطرة على قناة السويس ذلك الشريان الحيوي الهام. لذا تقرر إرسال حملة من الشام للإغارة على حدود مصر الشرقية وصولا إلى قناة السويس، وكان الرأي بضرورة إشغال القوات البريطانية على الحدود الغربية، ضمنا لنجاح الحملة على الحدود الشرقية حتى تتوزع قوتهم وتسهل هزيمتهم<sup>(٢٠٥)</sup>.

وفي ذلك الإطار سعت الدولة العثمانية وحليفها ألمانيا بالتواصل مع الشريف السنوسي في ليبيا، والسلطان علي دينار في دارفور، لإقناعهما بالقيام بهجوم مشترك يشغل بريطانيا في مصر والسودان من الغرب في وقت الحملة بالزحف على حدود مصر من الشرق، مما سيعمل على إشاعة الاضطراب في المستعمرات الأفريقية لبريطانيا وفرنسا، ويجعل من هذه

الحرب جهادا ضدهما<sup>(٢٠٦)</sup>.

وتم إيفاد بعثة رسمية مشتركة عثمانية ألمانية إلى السنوسي في ليبيا لإقناعه بأهمية الاشتراك في تلك الحملة على حدود مصر الغربية، ونجح العثمانيون في استقطاب السنوسي للتعاون مع ألمانيا حيث وصل جعفر باشا لمفاوضة السنوسي ومعه كميات كبيرة من السلاح والذخيرة والأموال ليتحول السنوسي تجاه العثمانيين<sup>(٢٠٧)</sup> في حين بلغ سخط السلطان على دينار من حكومة السودان مدها، فلبى دعوة الدولة العثمانية وحليفها، وذلك في ظل إدراكه لتأمر حكومة السودان عليه، ورغبتها في إضعافه للإجهاز على ملكه، وعدم تزويده بالسلاح والذخيرة للحيلولة دون سيطرته على الأراضي التابعة له<sup>(٢٠٨)</sup>.

وكان لدى علي دينار من الدوافع لشق عصا الطاعة على حكومة السودان، ولعل من أهمها معضلة تعدي القوات الفرنسية على أراض تابعة له في دارفور بعد سيطرتهم على أبشي عاصمة سلطنة وداي ١٩٠٩، وشكواه إلى حكومة السودان طالبا العون وإبعاد هذا الخطر المحدق عنه بلا جدوى<sup>(٢٠٩)</sup> ووجهت إليه نصائح بضرورة الالتزام بالهدوء والامتناع عن الدخول إلى أرض وداي، وألا يقوم بأي مظهر عدائي في مواجهة الفرنسيين<sup>(٢١٠)</sup>.

واستمرت شكوى علي دينار من الاعتداءات الفرنسية على أراضيه وغاب عنه الاتفاق الذي تم بين الفرنسيين والبريطانيين في ١٨٩٩ والذي جاء في مادته الثانية أن خط الحدود الذي يفصل بين سلطنة وداي ودارفور هي المسافة ما بين خطي طول  $23^{\circ}$  -  $21^{\circ}$  شرقا<sup>(٢١١)</sup> وفي المقابل كانت فرنسا تحت بريطانيا على السيطرة على دارفور كي يتسنى للطرفين الاتفاق على ترسيم الحدود، فالجانب الفرنسي كان راغبا في إبقاء الوضع مضطربا حتى يجبروا حكومة السودان على فرض سيطرتها الفعلية الكاملة على دارفور، لتعيين الحدود بصورة دائمة بين البلدين بما يمكن الفرنسيين من تقليل قواتهم ونقلها لمناطق أخرى<sup>(٢١٢)</sup>.

أدرك على دينار أن حكومة السودان تتلاعب به، بعد أن ظل منتظرا تحقيق وعودها له بحمايته، والزود عن أراضيها في مواجهة الزحف الفرنسي الذي اقتطع أجزاء من أراضيها (٢١٣) وعزز ذلك الشعور لديه أنه بانددلاع الحرب العظمى ١٩١٤ كانت بريطانيا وفرنسا تقفان بجانب بعضهما البعض كحلفاء، فرأى أن شكوكه قد ثبتت بالبرهان القاطع وأنها في معسكر واحد (٢١٤).

وأثار دخول الدولة العثمانية الحرب ضد بريطانيا السلطان على دينار لأنه أدرك أن مركزه بات مهددا من قبل الدول الاستعمارية وعلى الأخص بريطانيا (٢١٥)، إلى أن وصلته شائعات أن بريطانيا في موقف عسكري حرج، وأن الفرصة قد وافتت للتخلص من السلطة البريطانية ومد حدوده نحو الشرق ليضم كردفان (٢١٦). وأرسل السير ونجت حاكم عام السودان إلى علي دينار رسالة يوضح له الأوضاع في الحرب العظمى، ويحذره من الاستماع إلى الإشاعات الكاذبة حول وضع بريطانيا في الحرب، وأنها في سبيلها لتحقيق النصر الحاسم على أعدائها (٢١٧). لكن تلك الرسالة لم تزده إلا عزيمة على المضي قدما فيما عزم القيام به.

ولذا كان من الطبيعي أن يتلقف السلطان علي دينار خطاب أنور باشا وزير الحربية التركي، وأن تجد دعوى السلطان العثماني آذانا مصغية من علي دينار في دخول الحرب وأن يتصور أن السلطان العثماني سيكون خير عون له على حكومة السودان (٢١٨)، فجاهر حكومة السودان بالعداء في عدد من رسائله، وحينها أدرك حاكم عام للسودان أن المعلومات التي وصلت إليه من عيون كانت صحيحة، وأن ثمة تحالف بين الشريف السنوسي في ليبيا وعلي دينار، وأنه أزمع الهجوم بجيش كبير قد تكون في قيادته ضباط ألمان وأتراك لمهاجمة حكومة السودان، وأمعن على دينار في العداء فأخذ يثير القبائل المحيطة بدارفور موسعا من دائرة الثورة ضد الحكومة، ثم هدد على التوم ناظر الكبابيش بثورة شعبية عارمة تشمل كل أنحاء السودان كما حدث إبان الثورة المهديّة (٢١٩).

كانت خطة الأتراك والألمان أن يتقدم السنوسي في حملة لمهاجمة مصر على محورين: الأول: الطريق الساحلي، والثاني: طريق الواحات الغربية، ثم قاموا بالإغارة على مينائي السلوم وسيدي براني والهجوم على مراكز الحراسة شرق السلوم، فأخذ البريطانيون يحشدون قوات لصد الهجوم السنوسي من مرسى مطروح بعد استيلاء السنوسي على سيدي براني والسلوم، واتبع السنوسيون طريقة الحرب النظامية ودارت بين الجانبين معركة في يناير ١٩١٦ حقق البريطانيون انتصارا محدودا، ثم توجه السنوسيون إلى طريق الواحات الغربية حيث سيطروا على واحات: البحرية والفرافرة والخارجة والداخلية مما استدعى القوات البريطانية القيام بإجراءات عسكرية حاسمة أولها: انشاء نظام جديد للدوريات من الفيوم إلى أسيوط. ثانيها: إقامة قاعدة تموين بحري عند سيدي براني. ثالثها: تشكيل حكومة جديدة خاصة بالمنطقة الغربية من مصر وسميت محافظة الغرب. رابعها: إعادة توزيع لواءات المشاة على طول غرب النيل ووضعت قوة مسلحة عند أسوان وأخرى عند الفيوم. وأثمرت تلك الجهود فبحلول مارس ١٩١٦ تم استعادة ما تبقى من مواقع في أيدي السنوسيين، وفشلت بذلك الحملة من تحقيق أهدافها<sup>(٢٢٠)</sup>.

وأخذت التقارير الاستخباراتية ترد إلى حكومة السودان عن أن التحالف بين السنوسية في ليبيا وعلى دينار في دارفور حقيقة لا تقبل الشك وتصل إلى حد اليقين، وأن الدولة العثمانية ترسل الأسلحة والذخيرة إلى الشريف السنوسي الذي ينقلها عبر دروب الصحراء إلى على دينار في دارفور. فأخذت حكومة السودان استعدادها من ديسمبر ١٩١٥ لبدء الحملة والتجهيز لها لوجستيا وعسكريا، وبحلول مارس ١٩١٦ توجهت التجريدة نحو دارفور فاستولت على العاصمة الفاشر، وتمكن السلطان على دينار من الفرار خارجها، لكنه قتل أثناء تبادل لإطلاق الرصاص في نوفمبر ١٩١٦<sup>(٢٢١)</sup>.

## الخاتمة

كان امتداد دار الزغاوة ما بين دارفور ووداي وأطراف ليبيا مدعاة إلى عدم النظر إليهم على اعتبار أنهم كتلة واحدة، فهناك الكثير من التباين فيما بينهم، وذلك بحكم أنهم قبائل وعشائر كثيرة، ولكل قبيلة أو عشيرة حدودها وعاداتها وتقاليدها، ولا يجمع بينهم إلا اللغة والدار. كما تركت الطبيعة القاسية بصماتها عليهم فنجد ذلك واضحا في عاداتهم وأسلوب حياتهم ومعيشتهم. ولذا فقد وصفوا بالشدة والبأس وقوة التحمل مع الميل إلى السلب والنهب، وهذا أمر تقتضيه الطبيعة الصحراوية التي نشأوا وتربوا فيها فهي بالقطع ليست بيئة وفرة.

كان هناك دافعان رئيسان لهجرة قبائل الزغاوة: أولهما: الجفاف فخشية على أنفسهم وقطعانهم اتجهوا نحو الجنوب لمناطق أكثر وفرة بالماء والكأ. وثانيهما: استتكت قبائل الزغاوة الخضوع لأي سلطة مركزية في الشمال، ولذا توجهوا نحو الجنوب فرارا من أي سلطة أو نظام سياسي، خاصة في ظل وجود فراغ سياسي في تلك الأصقاع البعيدة، التي تكاد تتعدم فيها السلطة المركزية، بل إن الزغاوة رأت في نفسها قوة يحسب لها حساب بالمقارنة بالقبائل التي كانت تجاورها.

تباينت آراء العلماء والمؤرخين في أصل الزغاوة ما بين أصل نوبي " كوشي"، وأصل بربري، لكن موقع الزغاوة جعلها تخضع لكلا التيارين النوبي والبربري سواء بسواء، فنقاء العنصر ووحدته أمر مستبعد خاصة أن ذلك لا يمكن أن يستمر طويلا، فالزغاوة لم يشكلوا أغلبية الكتلة البشرية في مناطقهم بالمقارنة لمجموعة القبائل التي حولهم، ولعل ذلك ما دفعهم إلى مصاهرتهم فاكتمسبوا من خلال ذلك القوة والتأثير.

كان للزغاوة تجارة مزدهرة مع فزان وبلدان شمال أفريقيا، وعن طريق التجارة انتشر الإسلام بين الزغاوة في كانم، لكن ظلت قبائل الزغاوة في الشرق في منأى عن الإسلام ومعظم التيارات الثقافية والفكرية وظلت على وثبيتها، ولعل ذلك ما أحدث الانفصال بين الجانبين إلى نشأة سلطنة

الفور وسلطنة وداي.

فرض الموقع الجغرافي على قبائل الزغاوة في الشرق في قلب الصحراء العزلة لفترة طويلة، مما أثر في عاداتها وتقاليدها فقد أصبحت أقل اعتناقاً عن غيرها من القبائل الأخرى من التقاليد والممارسات والطقوس الوثنية القديمة، ولعل ذلك ما وسّمت به، وفي المقابل ابتعدت الزغاوة عن مراكز الإشعاع الحضاري والفكري بل والمعرفي وكان ذلك سبباً لتأخر اعتناقها للإسلام، كما وصلت إليهم العقيدة الإسلامية باهتة واختلطت مع طقوسهم الوثنية، ولذا كانت في حاجة إلى مد يد العون لانتشالها من غياهب الضلال إلى نور الهداية والتحضر.

وجاء دور الطريقة السوسية كطريقة تحمل مشروعاً إصلاحياً مؤثراً وفعالاً في الالتفات إلى قبائل الزغاوة، فقد وجدت فيهم السوسية ضالّتهم المنشودة فهي قبائل لها مكانتها بأعدادها الكثيفة وقوتها وبأسها وامتدادها بما يمكن أن تشكل أحد دعائم حمل الدعوة السوسية إلى غيرهم من القبائل التي تليهم في تلك الأصقاع. ويمكن بلورة المشروع السوسي في نقطتين: **أولهما:** ديني يهدف إلى نشر الإسلام السمح مخترقاً في ذلك كافة الأقطار، وتأبط نشر العقيدة الإسلامية نشر الدعوة السوسية واكتساب المريدين والمؤيدين لها ومواجهة كافة حملات التنصير التي كانت تقوم بها فرنسا وغيرها. **ثانيهما:** سياسي حيث أدرك السوسيون أن نشر العقيدة الإسلامية والطريقة السوسية رهنا بمدى قوة الدعوة السوسية سياسياً وعسكرياً في مواجهة القوى التي تقابلها في تلك الأصقاع من قبائل وسلطنات وممالك، ولذا سعت إلى مباشرة حقوق السيادة والسيطرة على تلك البقاع، تمهيداً لتحقيق مشروعها الديني - السياسي، وكانت أحد أهم مظاهر السيادة والسيطرة الحفاظ على الأمن والاستقرار، والحفاظ على ديمومية حركة التجارة واستقرارها عبر الصحراء.

شكلت المهديّة في السودان خطراً على السوسية، فقد أرادت المهديّة في البداية احتواء الدعوة السوسية والتقوي بها، وسعت في سبيل ذلك، لكن

الدعوة السنوسية أدركت أن تليبيتها لدعوة المهديّة معناه ذوبانها وتلاشيها من الوجود، وهذا ما لم تقبل به، لكنها في المقابل تجنبت اغضاب المهديّة، لكنها في المقابل حافظت على قوتها وأدواتها الفعّالة في الحركة، وبالطبع الابتعاد عن ذلك الصراع في السودان وادي النيل الذي قد يستنزف جهودها وطاقاتها، فلم تحرك ساكنا للتعاون مع المهديّة، لكنها في المقابل قامت باستخدام أدوات الفعل داخل دارفور وسلطنة وداي في التأثير على المهديّة وجعلها تحت الضغط المستمر، وذلك من خلال تدبير الاضطرابات والفتن والثورات، وذلك للحيلولة دون انطلاق المهديّة نحو الكانم وسلطنة وداي.

كان الهاجس الأكبر لدى السنوسية هو قيام المهديّة بتطوير خطة الدعوة وتوجيهها نحو الكانم ووادي حيث المجال الحيوي للدعوة السنوسية، ولذا سعت السنوسية لاستخدام كافة أوراق الضغط لديها والتي كان من أهمها قبائل الزغاوة في دارفور ووداي وكذلك أتباعها ومن أشهرهم سلطان وداي، الذين لم ينفكوا في تدبير الثورة تلو الأخرى والاضطراب تلو الآخر، وكادت أن تخرج دارفور من تحت يد المهديّة أكثر من مرة، وفي ذلك دلالة على حجم حركة المقاومة التي قامت ضدهم في دارفور بتدبير وتخطيط السنوسية. أدركت السنوسية أن الخطة التي اتبعتها مع المهديّة هي الطريق الوحيد الذي يجعلها بمنأى عن اغضاب المهديّة والاحتكاك بها، وكذلك ابعادها عن توجيه جيوشها نحو وداي، فلم يكن غائبا عن السنوسي أن مصر ترصد كل حركة في السودان وأنها تعدّ العدة لاسترداد السودان مرة أخرى، وأنها تتقرب ذلك ولذا فليس من الحكمة مواجهة الدولة المصرية التي ترى أن تلك الأراضي هي حق لها، وتؤكد ذلك في حملة الاسترداد ١٨٩٦ - ١٨٩٨.

شكّل الزحف الفرنسي في وسط وغرب أفريقيا تهديدا مباشرا لمناطق النفوذ الحيوي للدعوة السنوسية، فشكّلت تحالفا من القبائل المؤيدة لها ومن أهمهم الزغاوة مع سلطاني دارفور ووداي، لكن ذلك التحالف لم يتمكن من إيقاف الزحف الفرنسي فخسرت السنوسية تلك المناطق الحيوية لها، وسقطت

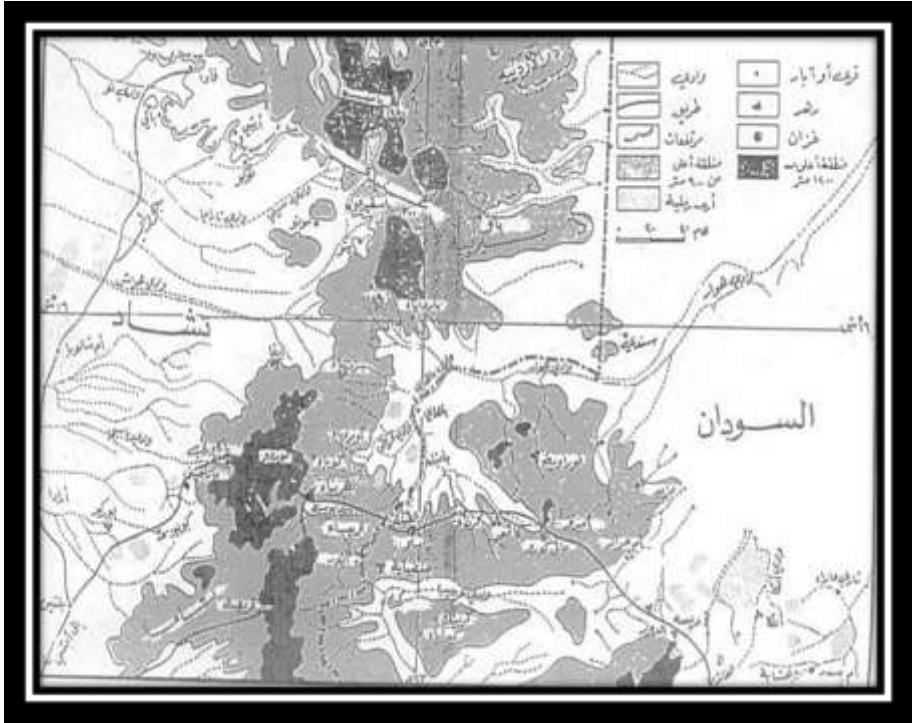
تلك الممالك الإسلامية بل واعتدت القوات الفرنسية على دارفور وسعت لاقتطاع أراض منها ولم تفلح استغاثات على دينار سلطان دارفور بحكومة السودان في حث الجانب البريطاني على تأمين حدوده الغربية من زحف واعتداء القوات الفرنسية.

سعى السنوسي مع زحف القوات الفرنسية على الممالك والسلطنات الإسلامية في منطقة نفوذه الحيوي في وادي وكانم وتبستي، على أن يجد له منفذا للانتشار بدعوته عبر قبائل الزغاوة في دارفور ومنها إلى السودان، لكن علي دينار حال دون ذلك، لأن ذلك يشكل تهديدا لمكانته ونفوذه، هذا على الرغم من احتفاظه بالمودة مع الدعوة السنوسية التي شكلت مصدرا له للسلاح والذخائر، وحليفا يمكن أن يعتمد عليه في الشدائد.

سمحت حكومة السودان لقبائل الكبابيش التي تدين لها بالولاء بالاعتداء على قبائل الزغاوة امتهانا لكرامة السلطان على دينار واضعافا له واختبارا لذلك التحالف الناشئ بينه وبين السنوسية في ليبيا وقبائل الزغاوة، التي تعاونت مع السنوسية والقبائل الموالية لها في فران ووادي في مهاجمة الكبابيش، ليصبح الصراع بين القبائل انعكاسا للتدخل الأجنبي، وتمهيدا لمرحلة جديدة من الصراع مع اندلاع الحرب العظمى ١٩١٤.

خلق انحياز فرنسا إلى بريطانيا في الحرب العظمى حالة من التدافع نحو المواجهة المسلحة، حيث تأكد للبريطانيين التحالف بين السنوسية وكافة القبائل الموالية لها وعلى دينار في دارفور من جهة وبين السلطنة العثمانية وحليفاتها ألمانيا من جهة أخرى . فسعت بريطانيا ألا يتم إحكام الدائرة عليها من القوات العثمانية الزاحفة نحوها من الشام واحكام الخناق عليها من هجمات السنوسية غربي مصر وعلى دينار على كردفان في السودان، فنجحت في فك عرى ذلك التحالف وإجهاض تلك العمليات العسكرية بمبادأة على دينار في دارفور والسيطرة عليها والتخلص منه، في الوقت ذاته احتواء الهجوم التي قامت به السنوسية غربي مصر وصدته ثم التغلب عليه في النهاية.





شكل رقم (١)

جغرافية دار الزغاوة في السودان وتشاد

تجده في

محمود أبكر سليمان ومحمد أبكر الطيناوي، الزغاوة ماضي

وحاضر، الطبعة الأولى، الكويت، ١٩٨٨، ص. ٢٣٠.



شكل رقم (٢)

قبيلة الزغاوة في السودان

تجده في

عبد القادر أرباب، تاريخ دارفور عبر العصور، الخرطوم، ١٩٩٨،

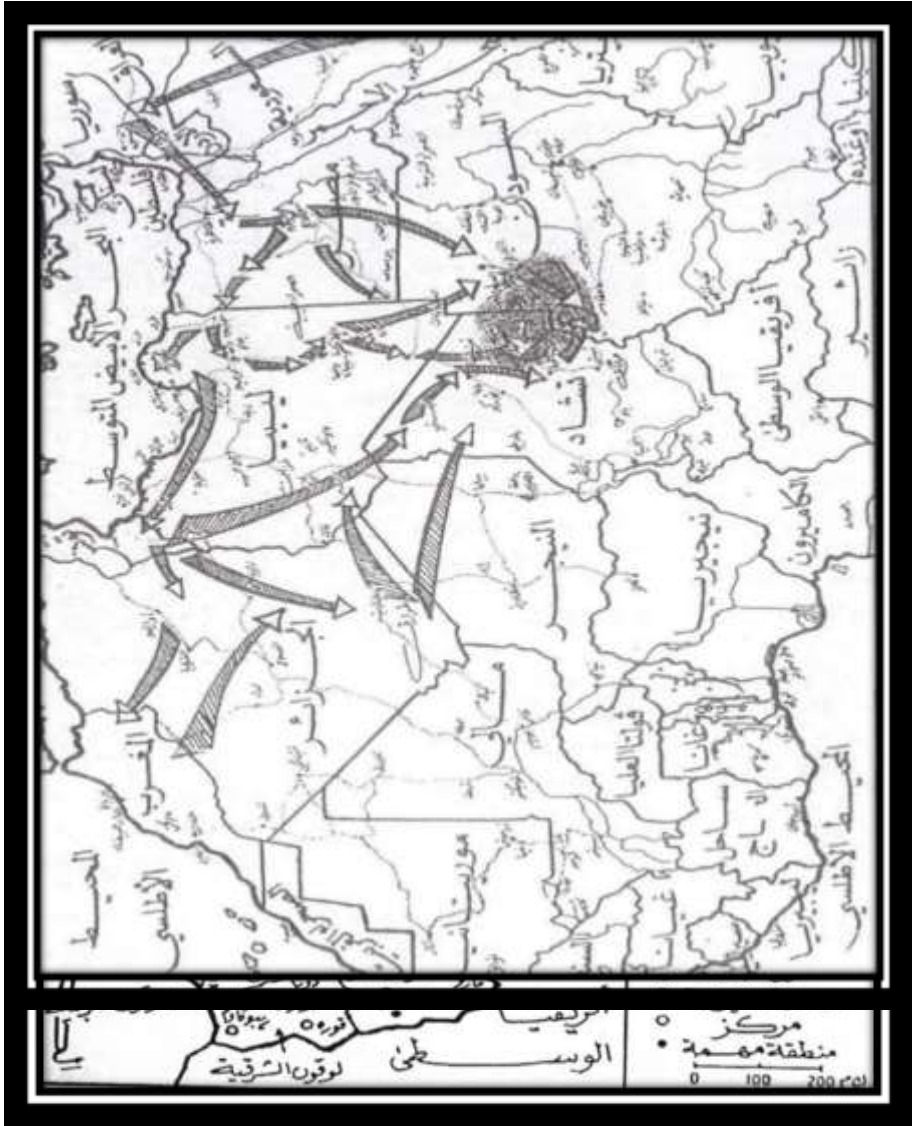
ص. ٢٤.



شكل رقم (٣)

توزيع القبائل وأهم المدن والبلدات في دارفور

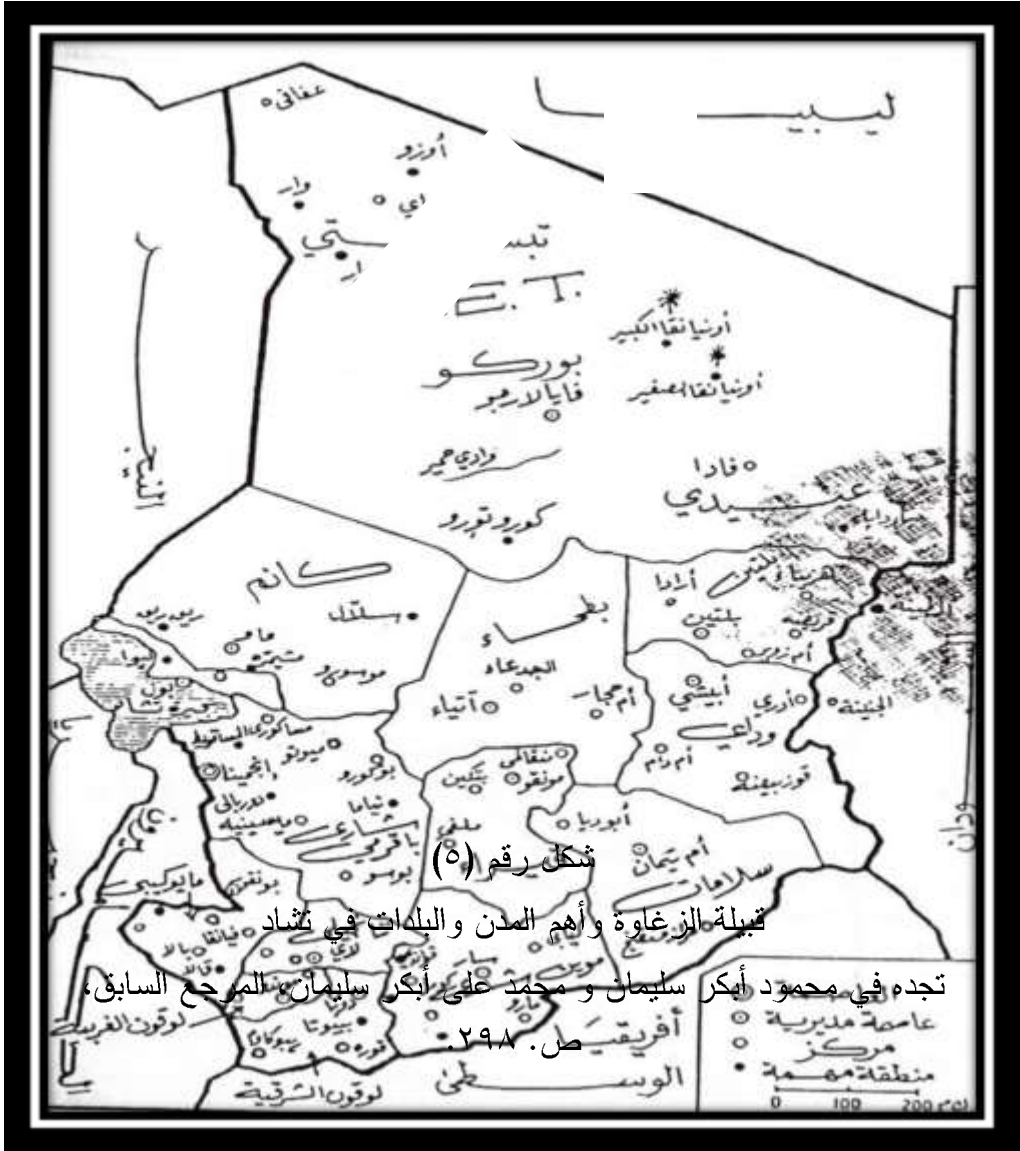
تجده في موسى المبارك الحسن، المرجع السابق، ص. ٥٨.



شكل رقم ( ٤ )

مسارات هجرة قبيلة الزغاوة

تجده في محمود أبكر سليمان و محمد على أبكر، المرجع السابق،  
ص . ٢٦٠ .



شکل رقم (٥)

قبيلة الزغاوة وأهم المدن والبلدات في تشاد  
تجده في محمود أبكر سليمان و محمد علي أبكر سليمان ، المرجع السابق ،  
ص . ٢٩٨ .

الهوامش:

- (١) محمد الطيب بن إدريس الأشهب ، السنوسي الكبير ، القاهرة ، دار القاهرة ، ١٩٥٦ ، ص . ١٢ - ١٥ .
- (٢) محمد فؤاد شكري ، السنوسية دين ودولة ، الطبعة الأولى ( المحققة ) ، بريطانيا - أكسفورد ، مركز الدراسات الليبية ، ٢٠٠٥ ، ص . ٣١ - ٣٤ وانظر أيضا ؛ علي محمد محمد الصلابي ، الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة ، ٢٠٠٨ ، ص ٢٢ - ٤٥ .
- (٣) احمد صدقي الدجاني ، السنوسية نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر ١٢٠٢ - ١٣٢٠هـ ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، د . ن ، ١٩٨٧ ، ص . ٤٢ - ٤٤ .
- (4) Nicolaa Ziedeh, Sanusiyah : Study of Revivalist Movement in Islam , Lieden, 1968, pp.26 - 28.
- (٥) محمد فؤاد شكري ، المرجع السابق ، ص . ٣٨ ؛ محمد الطيب بن إدريس الأشهب ، المرجع السابق ، ص . ١٩ .
- (٦) ايفانز بريتشارد ، السنوسيون في برقة ، ترجمة عمر الديراوي ابو حجله ، طرابلس ، مكتبة الفرجاني ، ( د . ت . ) ، ص . ١٦ - ١٨ ؛ احمد صدقي الدجاني ، المرجع السابق ، ص . ٤٤ .
- (٧) محمد فؤاد شكري ، المرجع السابق ، ص ٨٥ - ٨٧ وانظر أيضا Nicolaa Ziedeh, op .cit., pp.28-32.
- (٨) محمد الطيب بن إدريس الأشهب ، المرجع السابق ، ص ٢١ - ٢٣ ؛ علي محمد محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص . ٨١ - ٩٠ .
- (٩) انظر شكل رقم ٤ .
- (١٠) الجغبوب : انظر شكل رقم (٤) .
- (١١) أحمد صدقي الدجاني ، المرجع السابق ، ص . ٤٩ - ٥١ ؛ Nicolaa Ziedeh, op .cit., pp.30.
- (١٢) محمد فؤاد شكري ، المرجع السابق ، ص . ٩١ - ٩٣ .
- (١٣) انظر شكل رقم (٢) ، وشكل رقم (٥) .
- (14) J.F.E.,Hopkins and N.Levtzion , Corpus of early Arabic sources for West African history, Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, Vol. 45, No. 1 ,982),p.376.

- (١٥) مقابلة شخصية قام بها الباحث مع السيد عبد الرحمن محمد الصافي أحد رواة التاريخ الشفاهي لقبيلة الزغاوة ، وتم اللقاء في منزله بالفاشر ٢٠١٩.
- (١٦) أحمد اليعقوبي " أبو العباس أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي" ، تاريخ اليعقوبي ، جزءان ، بيروت ١٩٦٠، ص.٥٤ ؛ هارون سليمان يوسف ، الزغاوة تاريخ وتراث ، الخرطوم ، ب.ن ، ٢٠١١، ص.١٢.
- (١٧) زويلا : هي بلدة في جنوبي غرب ليبيا وكانت مركزا لتجارة القوافل عبر الصحراء ، وهي تقع جنوبي طرابلس بخمسمائة كم . ولمزيد من المعلومات انظر وزارة السياحة والصناعات التقليدية ، الجماهيرية الليبية ، ٢٠١٠، ص. ١١٨ - ١٢٠.
- (١٨) نفسه.
- (١٩) ياقوت الحموي " شهاب أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحمي الرومي البغدادي" ، معجم البلدان ، تحقيق عبد العزيز الجندي ، ٧ أجزاء ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٠ ، الجزء ٥ ، ص.١٥٩.
- (20) J.F.E.,Hopkins and N.Levtzion , op.cit., p. 119.
- (٢١) ابن سعيد المغربي " نور الدين ابو الحسن علي ابن موسى العنسي ، كتاب الجغرافيا ، تحقيق وتقديم وتعليق إسماعيل العربي ، الجزائر ، ديوان المطبوعات جامعة الجزائر ، ١٩٧٠ ، ص.١١٥.
- (22) Richard Palmer , **Sudanese Memories**, London ,n.p., 1967, p. 96.
- (23) Tubiana, M.J., Survvance preislamiques en pays Zaghawa, Institut d'ethnologie, paris, 1964, p.11.
- (24) Theobald, A.B., Ali Dinar Last Sultan of Darfur, 1898-1916, London , Longmans, 1965, p.46.
- (٢٥) زغاوة البدايات : هم يعيشون في أقصى شمالي دارفور شمال دار الزغاوة بمركز كتم ، وهم رعاة إبل واعتادوا الإغارة على المناطق النهرية لدنقلا ، مخترقين الصحراء ، يعيش بعضهم في دارفور بالسودان ، والبعض الآخر في تشاد وأقصى جنوبي وليبيا، والصلة بين الفرعين قوية رغم الحدود السياسية . ولمزيد من المعلومات انظر : MacMichael , H.A., A history of the Arabs in the Sudan , Vol. I,London , 1936, p.52 ; Theobald, A.B., Ali Dinar last sultan of Darfur 1898 – 1916 ,London , 1965 , p.5 ؛ على

أبوسن ، مذكرة أبي سن عن مديرية دارفور، دار الوثائق القومية ، الخرطوم ،  
١٩٦٧، ص ص ٧٦ - ٧٧.

(26) MacMichael, H.A. Notes on the Zaghawa and the People of  
Gebel Midob, in Anglo-Egyptian Sudan. The Journal of the Royal  
Anthropological Institute of Great Britain and Ireland, No.XXXII:  
pp.288-344 ; Tubiana, Joseph Note sur la langue des zaghawa.  
Travaux de XXVe congrès internationale des orientalistes,  
Moscow 1963,pp. 614-619.

(٢٧) التيبو : هم من البدو الرحل وحياتهم خشنة وقاسية ، وقوام معيشتهم رعي الإبل  
والماعز، ويعيشون في صحراء فقيرة من مصادر الماء ، وهم لا يرتبطون بمكان ،  
كما أنهم لا يختلطون بجيرانهم ، وفي عداوة وحذر من بني عمومتهم. ولمزيد من  
المعلومات انظر Hopkins, J.F.P., and Levtzion,N., Corpus of Early  
Arabic Sources for West Africa History , Cambridge, 1981,  
pp.119 -120.

(28) H.A., Palmer ,The White Races of North Africa , S.N.R.,  
ix,1926,p. 70.

(٢٩) الشاطر بصيلي عبد الجليل ، تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط من  
القرن السابع إلى القرن التاسع عشر ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،  
١٩٧٢، ص. ٣٥٩

(30) Briggs L. , Arabs Invasions and Trans - Sahara Trade , Africa  
from early Times to 1800 , London , Oxford univ. press, 1968, p.  
168.

(٣١) بطرس البستاني ، دائرة معارف البستاني ، بيروت ، دار المعرفة ، ب . ت . ،  
الجزء الخامس ، ص. ٢٨٠.

(32) J.F.E.,Hopkins and N.Levtzion , op.cit., pp.116-117.

(33) Gustav Nachtigal, Sahara and Sudan: Wadai and Darfur ,  
translated by Allan Fisher and Humphary Fasher and Rex sean  
O'Fahey , London, 1971, p.413.

(34) H.A., Palmer ,The White Races of North Africa , pp. 72 – 73; ,  
**Sudanese Memories**, p.21.

(٣٥) الشاطر بصيلي عبد الجليل ، المرجع السابق ، ص. ٧٩.

36 J. Spencer Trimingham, History of Islam in west Africa, London ,  
Oxford University press , 1962, p. 104.

(37) Palmer, R. , The Bornu Sahara and Sudan, 2nd edition, London ,



- Negro Universities Press, 1970 p. 13.
- (38) Le Diwan des Sultans du Kanem Bornu, Chronologie et Histoire d'un Royaume Africain (de la fin du Xe siècle jusqu'à 1808) , rédigée avec introduction Par Dierk Lange, Wiesbaden, Franz Steiner Verlag, 1977, pp.121-129 .
- (39) Sharif Harir, op.cit., p. 175.
- (40) S.I.R., 6/7/21, No. 187, February 1910.
- (٤١) دار محفوظات الفاشر ، مخطوط رقم ٥٥/٢ مذكرات الملك علي محمد بن ، الفاشر ، ص. ٢٨ .
- (٤٢)- الكفرة : وتقع واحة الكفرة في جنوبي شرق ليبيا والمسافة بينها وبين مدينة البيضاء المطلة على ساحل البحر المتوسط حوالي ٦٠٠ كم ، والمسافة بينها وبين بنغازي حوالي ١٠٠٠ كم. وزارة السياحة والصناعات التقليدية ، المرجع السابق ، ص. ١٥٠ .
- (43) Gustav Nachtigal, op.cit., p.104.
- (٤٤) سلاطين باشا ، السيف والنار في السودان ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سلسلة تاريخ المصريين ، عدد رقم ١٦١ ، ١٩٩٩ ، ص. ٥١ .
- (45) Jean Chappelle, Nomades noirs du Sahara les toubous, Éditions L' harmattane , paris, 1982, pp. 632-635.
- (46 ) Sharif Harir, The Politics of "Numbers": Mediatory Leadership and the political process among the Beri Zagawa of the Sudan , Norway , Univ. of Bergin 1986, p.49.
- (47) H.A., Palmer , op.cit., p.71.
- (٤٨) انظر شكل رقم (٤) ، وشكل رقم (٥) .
- (٤٩) انظر شكل رقم (٤) .
- (50) Gustav Nachtigal, Sahara and Sudan: Wadai and Darfur , translated by Allan Fisher and Humphary Fasher and Rex sean O'Fahey , London, 1971, p. 441.
- (٥١) الشاطر بصيلي عبد الجليل ، تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط في القرن السابع عشر إلى القرن التاسع عشر للميلاد ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٢ ، ص. ٣٥٩ .
- (52) Mam Ahmed Ibn Fartua, History of the Twelve years of the Reign of Mai Idris Alooma of Bornu (1571-1583): By his Imam, Translated from Arabic with an introduction and notes H. R. Palmer , New York, Routledge Revivals, 2018, p. 65.

(٥٣) قبيلة زوية : هي قبيلة عربية من بني سليم واستوطنت في إقليم برقة حيث عرفت هناك بالمرابطين، وينقسمون إلى خمس عشائر كبرى ، المنايا والزبيدي والجلولي والشواغر وسيدي مفتاح ، وتنتشر في الكفرة وسبها وغريان وبنغازي... وكذلك في عين صالح في الجزائر ، وكان لهم دور في الجهاد ضد الاحتلال الإيطالي وكذلك الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي في جنوب ليبيا والجزائر وتشاد .

مقابلة شخصية قام بها الباحث مع الشيخ على عبدالله الطوير الزوي أحد أهم رواة التاريخ الشفاهي لقبيلة الزوية ، في منزله بمدينة بنغازي في عام ٢٠١٩ .

(٥٤) الشاطر بصيلي عبد الجليل ، المرجع السابق ، ص. ٣٥٩ .

(٥٥) أحمد حسنين ، في صحراء ليبيا ، القاهرة ، ب. ت. ، ص . ٥٧ .

(٥٦) وجنقة : تقع في شمال شرقي تشاد في إقليم تبستي بالقرب من الحدود الليبية النشادية وهي واحة خضراء بها آبار وعيون . ولمزيد من المعلومات انظر : وزارة السياحة والصناعات التقليدية ، المرجع السابق ، ص. ١٨٧ .

(57) Nicolaa Ziedeh, op.cit., p. 91.

(٥٨) أحمد حسنين ، المرجع السابق ، ص . ٥٤ - ٥٥ .

(59) Tubiana, M., op.cit., pp.13 – 15.

(60) Rosita Forbs, op.cit., pp. 210-215.

(61) S.I.R., 2/15/128, 30 September 1908.

(62) Cairo Intelligence Reports, 1/8/65 , Appendix A.

(٦٣) أميرو : انظر شكل رقم (٣).

(64) ibid.

(٦٥) محمد فؤاد شكري ، المرجع السابق ، ص. ١٤٥ .

(66) Nicolaa Ziedeh, op.cit., pp.84 – 88.

(67) Lewicki, T., The Role of Sahara and Saharian in the relationship between North and South, **UNESCO General History of Africa**, Vol. III, Africa from the seventh to the eleventh century, M. El Fasi (Editor); November 1992, pp.293-294 , .

(68) Le Diwan des Sultans du Kanem Bornu, op.cit., pp. 30-32.

(69) Gustav Nachtigal, op.cit., p.121.

(٧٠) محمد فؤاد شكري ، المرجع السابق ، ص . ٣٩ .

(٧١) نفسه ، ص ١٢ - ١٣ .

(٧٢) أحمد صدقي الدجاني ، المرجع السابق، ص . ٨٩ - ٩٠ ، Nicolaa Ziedeh,

op.cit., p.89.

(73) Rosita Forbs, The Secret of the Sahara : Kufara, New York, The Long Riders' Guild Press, December 2001, pp.339-340.

(74) Nicolaa Ziedeh, op.cit., pp.212 – 213.

(75) Tubiana, M., op.cit.,p.25.

(76) H. Duveyrier,, La confrérie musulmane de Sîdî Mohammed ben Alî-Senoûsi et son domaine géographique en l'année 1300 de l'Hégire, Paris: Société de géographie,1884, pp.19-20..

(٧٧) وقد أثبتت الأحداث صدق ذلك التفسير كما سيأتي في الدراسة التي بين أيدينا ، وذلك عندما تم إرسال الشاب محمد الزين المشهور بأبي جميلة والذي ينتمي إلى قبيلة الزغاوة إلى دارفور ، والذي تمكن من زعزعة مكانة الدولة المهديّة وكاد أن يعصف بها.

(78) E. E. Evans-Pritchard , The Sanusi of Cyrenaica, London, Oxford University Press, 1949,pp.24-25.

وانظر أيضا لوثرروب ستودارد ، حاضر العالم الإسلامي ، ترجمة عجاج نويهض ، تحقيق شكيب أرسلان وعجاج نويهض ، الطبعة الثالثة، ٤ أجزاء، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٧١، الجزء الثاني ، ص . ٤٠٢ - ٤٠٣.

(79) E. E. Evans-Pritchard ,op.cit., pp. 25 – 26.

(80) S. I. R., 6/4/15 , The Sanusi , Telegram to Khartoum , No.2, September 1905.

(81) J. Spencer Trimingham, History of Islam in west Africa, London , Oxford University press , 1962, p. 32.

(82) Gustav Nachtigal, op.cit., pp. 167 – 177.

(83) H. Duveyrier,, op.cit., pp. 47 – 48.

(٨٤) السلطان يوسف بن محمد شريف ، تولى الحكم في سلطنة واداي ١٨٧٤ بعد وفاة شقيقة الأكبر السلطان علي ، وسار في الرعية سيرة حسنة ، وكان له ارتباط وثيق بالسنوسية في ليبيا حتى وفاته ١٨٩٩. ولمزيد من المعلومات انظر الصادق أحمد آدم ، مملكة وداي الإسلامية ١٦١٥-١٩٠٩، مؤتمر الإسلام في أفريقيا ، الرياض ، نوفمبر ٢٠٠٦ .

(85) Louis Rinn, Marabouts et khouan : étude sur l'islam en Algérie : avec une carte indiquant la marche, la situation et l'importance des ordres religieux musulmans , Alger , Adolphe Jourdan-Libraire Éditeur , 2011, pp. 503-504.

(86) S.I.R. , 2/15/127,1902.

(٨٧) محمد أحمد المهدي : شخصية سودانية شهيرة ولد في جزيرة لبب في دنقلا ، وكانت أسرته تعمل في صناعة المراكب ، تلقى العلم الصوفي على يد الشيخ الأمين الصويلح ، ثم التحق بالشيخ محمد الخير في بربر ، ثم التحق بالطريقة السمانية تحت يد زعيمها محمد الشريف نور الدايم ، لكنه انفصل عنه والتحق بالشيخ القرشي ود الزين شيخ الطريقة السمانية وتزوج ابنته ، وقام برحلات إلى كردفان وكون شعبية بين أهلها ، ولمس قدر المظالم في البلاد ، فادعى أنه المهدي المنتظر الذي جاء ليملى الدنيا عدلا بعد أن ملئت ظلما وجورا ، وقاد الثورة المهديّة ضد الإدارة المصرية في السودان في عام ١٨٨١ وتمكن من السيطرة على العديد من المديرية في السودان ثم سيطر على العاصمة الخرطوم بعد حصار طويل وقتل الجنرال غوردون يناير ١٨٨٥ ، ونقل العاصمة إلى أم درمان ولكنه توفي قبل تحقيق أهدافه في يونيو ١٨٨٥ . ولمزيد من المعلومات انظر ب. م . هولت ، المهديّة في السودان ، ترجمة جميل عبيد ، مراجعة أحمد عبدالرحيم مصطفى ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٧٨ .

(٨٨) يوسف فضل حسن ، مسار الدعوة المهديّة خارج السودان على ضوء رسائل المهدي وخليفته ، تجده في عمر عبد الرازق النقر (مقرا) دراسات في تاريخ المهديّة ، المؤتمر العالمي لتاريخ المهديّة ، ثلاثة أجزاء ، الخرطوم دار الخرطوم للطباعة والنشر ، ١٩٨١ ، الجزء الأول ، ص. ١٧١ .

(٨٩) موسى المبارك الحسن ، تاريخ دارفور السياسي ١٨٨٢ - ١٨٩٨ ، الخرطوم ، دار الخرطوم للطباعة والنشر ، ١٩٩٥ ، ص. ٧٠ .

(90) E. E. Evans-Pritchard ,op.cit., p.32.

(91) C.I.R., 5/4/32,

(٩٢) محمد خالد الزقل : ولد في دارفور وبدأ حياته تاجرا بسيطا حتى علا شأنه ، وقد ورث التجارة عن أبيه الذي قضى شطرا من حياته في وادي وعاش بين أهلها محمود السيرة ثم رحل عنهم واستوطن دارفور ، ومع ضم دارفور للإدارة المصرية ١٨٧٤ تقلد عدة مناصب حتى أصبح مديرا لداره بالنيابة ، وكانت له صلة قربي لمحمد أحمد المهدي . ولمزيد من المعلومات انظر إبراهيم فوزي ، السودان بين يدي غوردون وكتشنر ، جزءان ، القاهرة ، ١٣١٩ هـ ، الجزء الأول ص. ١٤٣ ؛ سلاطين باشا ، المرجع السابق ، ص. ٢٢

(٩٣) عمر محمد خير ترحووا : كان عمر قائدا للباشبوزق الشايقية في الفاشر في عهد الإدارة المصرية وحمل لقب السنجق ، وكان ذا نفوذ قوي بين أتباعه ، وصحب سلاتين مدير دارفور في رحلاته نحو الشمال الغربي من دارفور في أرض الزغاوة وكان له دور في عقد الصلح بين قبائل عرب النوابية والزغاوة ، وحظى برتبة الباكوية .

سلاطين باشا ، المرجع السابق ، ص. متفرقات ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٧.

(٩٤) موسى المبارك الحسن ، المرجع السابق ، ص. ٧١.

(٩٥) أبشي : انظر شكل رقم (٥).

(٩٦) دار الوثائق القومية بالخرطوم ، ١٠/١ وثائق المهديّة ، وثيقة رقم ٥٤ ، من

محمد خالد زقل إلى ديوان المهديّة في أم درمان ، بتاريخ مارس ١٨٨٥

(٩٧) إلياس باشا أم برير : هو تاجر من قبيلة الجعليين ، وكان واسع الثراء وتولى

منصب مدير كردفان في عهد الإدارة المصرية، وكان ذو سطوة وهيبة واتسم بسعة

الحيلة . ولمزيد من المعلومات انظر ب. م . هولت ، المهديّة في السودان ، ترجمة

جميل عبيد ، مراجعة أحمد عبدالرحيم مصطفى ، القاهرة ، دار الفكر العربي ،

١٩٧٨.

(٩٨) موسى المبارك الحسن ، المرجع السابق ، ص. ٧٢.

(99) C.I.R., 5/4/32, op.cit., p.3.

(١٠٠) يوسف إبراهيم : هو نجل السلطان إبراهيم سلطان دارفور (١٨٧٣ - ١٨٧٤)

والذي قتل في معركة منواشي وقام يوسف بثورة عنيفة ضد الدولة المهديّة ووجد من

يشد أزره من بين رعاة الإبل في شمال دارفور والبقارة في جنوب دارفور ، كما

حظى بتأييد سلطان وداي وكانت الثورة بغرض التخلص من حكم الخليفة والعودة

بدارفور إلى ما كانت عليه قبل عهد الإدارة المصرية، وكانت مقاومة أهالي دارفور

شديدة ، لكن الخليفة عبدالله التعايشي أرسل جيشا كبيرا قضى على تلك المقاومة

بالسيف . موسى المبارك الحسن ، المرجع السابق ، ص. ٩٩.

(١٠١) عثمان آدم : هو من ذوي قري الخليفة عبدالله ، ولما اشتد وضع دارفور سوءا

أرسله من كردفان بجيش كبير بلغ تعداه أكثر من اثني عشر ألفا بخلاف الفرسان

والعتاد والذخيرة و، تمكن من القضاء على فتنة البقارة بقيادة مادبو وكذلك فتنة

- يوسف إبراهيم وأيضا قضى على فتنة أبو جميزة ، وكان له دور فى تثبيت مكانة المهديّة في ذلك الإقليم المضطرب . ولمزيد من المعلومات انظر ب. م . هولت ، المرجع السابق ، ص. ٢٠١ - ٢١٨ .
- (١٠٢) دار الوثائق القومية بالخرطوم ، ١١/١ وثائق المهديّة ، وثيقة رقم ١٨ ، من عثمان آدم عامل المهديّة في دارفور إلى الخليفة عبدالله التعايشي في أم درمان ، بتاريخ جمادي الأول ١٣٠٥ هـ / يناير ١٨٨٨ .
- (103) C.I.R., 5/4/32, op.cit., pp. 4-5.
- (104) C.I.R., 2/4/30, Developments between Mahdiya and Bergo , 1889, p.12.
- (١٠٥) دار الوثائق القومية بالخرطوم ، ١٢/١ وثائق المهديّة ، وثيقة رقم ١٩ ، من الخليفة عبد الله التعايشي إلى عثمان آدم ، بتاريخ جمادي الآخر / يناير ١٨٨٨ ، ص. ١-٢ .
- (106) C.I.R., 2/4/30, op.cit., p. 15.
- (١٠٧) نشبت سلسلة من الحروب بين المهديّة والحبشة ومن أهمها القلايات الكبرى ١٨٨٩ بقيادة الزاكي طمل التي حققت فيها قوات المهديّة نصرا على الأحباش ولمزيد من المعلومات انظر محمد سعيد القدال ، المهديّة والحبشة : دراسة في السياسة الداخلية والخارجية للدولة المهديّة ١٨٨١ - ١٨٩٨ ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الجيل ، ١٩٩٢ .
- (١٠٨) دار الوثائق القومية بالخرطوم ، ملف رقم ١٢/١ - B ملفات المهديّة ، صادر المهديّة وثيقة رقم ٨٤ ، من الخليفة عبدالله التعايشي في أم درمان إلى عثمان آدم في الفاشر ، بتاريخ شعبان ١٣٠٥ / مايو ١٨٨٨ .
- (١٠٩) نفسه ، صادر المهديّة وثيقة رقم ٨٩ ، من الخليفة عبدالله التعايشي في أم درمان إلى عثمان آدم في الفاشر ، بتاريخ شوال ١٣٠٥ / يوليو ١٨٨٨ .
- (١١٠) دار الوثائق القومية بالخرطوم ، ملف رقم ١١/١ - A ملفات المهديّة ، واردة المهديّة وثيقة رقم ١٨ ، من عثمان آدم إلى في الفاشر إلى الخليفة عبدالله التعايشي في أم درمان بتاريخ ربيع آخر ١٣٠٦ / ١٨٨٩ .
- (111) C.I.A., 2/7/14, Report No. 57, 7 th January 1889.
- (112) ibid.
- (١١٣) تلك الثورة التي اندلعت في مواجهة المهديّة هي في ذاتها ليست محل للعرض أو

المناقشة في دراستنا هذه فهي خارج الإطار المنهجي للدراسة ، ولكننا سنتعرض فقط لدور الزغاوة على المستوى التكتيكي في الثورة ، كما سنناقش دور السنوسية في هذا الشأن ، والذي كشفت عنه بعض الوثائق وجرى استنباط الباقي لرسم صورة لها منطوق مقبول.

(١١٤) ابو جميزة : هو شاب صغير السن ويدعى محمد الزين الملقب بأبي جميزة ، وهو قائد واحدة من أهم وأخطر الثورات على المهديية ، والتي كادت أن تعصف بها ، وأحاط أبو جميزة شخصيته بالغموض ، وكان فصيحاً يستعين بالسحر ، وآمن الناس في قدرته على صنع المعجزات ، وكان يقرأ راتب المهدي ويرتدي زيا كأتباع المهدي ، وأشيع عنه قدراته السحرية وكان مؤثراً في العامة ، واكتسب لقبه ذلك لاعتقاد الناس بخروج الرجل من شجرة جميز وتلك مبالغة لا يقبلها العقل أو المنطق ، لكنها كانت تتسق مع ما تناقلتها الألسن من قدراته السحرية واتصاله بالجن الذين أمدهم بقدرة خارقة تمكنه من صنع المعجزات ، حتى غدا أسطورة ولعل تلك التسمية سببها جلوسه على شجرة جميز ليعظ أتباعه وذلك يتفق مع رواية محلية تقول بأنه أقام زمناً في دار تامه حيث تكثر أشجار الجميز . ولمزيد من المعلومات انظر موسى المبارك الحسن ، المرجع السابق ، ص. ١٥٥ - ١٥٦.

(115) Wingate F.R., Mahdism and the Egyptian Sudan , being an account of the rise and progress of Mahdism, and of subsequent events in the Sudan to the present time, London , Frank Cass, 1968, p. 276.

(١١٦) دار الوثائق القومية بالخرطوم ، ملف رقم ١١/١ - A ملفات المهديية ، وارد المهديية وثيقة رقم ٤٧ ، من عامل المهديية في الفاشر عثمان آدم إلى الخليفة عبدالله التعايشي في أم درمان ، بتاريخ ربيع الاخر ١٣٠٦هـ / أكتوبر ١٨٨٨ .

(١١٧) قام محمد أحمد المهدي بتعيين ثلاثة هم أهم وكبار معاونيه في مناصب الخليفة فتم تعيين عبدالله التعايشي خليفة الصديق ابو بكر ، وعلى ود حلو خليفة الفاروق عمر ، ومحمد شريف خليفة على بن ابي طالب صهر النبي صلى الله عليه وسلم ، وترك كرسي خليفة واحد وهو الخاص بالخليفة عثمان بن عفان ثالث الخلفاء داعياً محمد المهدي السنوسي لشغله ، إلا أن ظل ذلك المنصب شاغراً .

ب.م. هولت ، المرجع السابق ، ص. ١٢٩ - ١٣٠.

(١١٨) دار الوثائق القومية بالخرطوم ، ملف رقم ١١/١ - B ملفات المهديّة ، واردة المهديّة وثيقة رقم ١٦ ، من أبو جميزة إلى الخليفة عبدالله التعايشي في أم درمان ، بتاريخ ربيع الآخر ١٣٠٦هـ / أكتوبر ١٨٨٨.

(١١٩) مقابلة شخصية قام بها الباحث مع السيد عبد الرحمن محمد الصافي أحد رواة التاريخ الشفاهي لقبيلة الزغاوة ، وتم اللقاء في منزله بالفاشر ٢٠١٩ ؛ مقابلة شخصية مع السيد محمد علي أحمد بن عبد الرحمن فرتي زعيم قبيلة الزغاوة في كوبي - وهو حفيد الزعيم الزغاوي الكبير عبد الرحمن فرتي - ، وتم اللقاء في منزله في كوبي في دارفور ، ٢٠١٩.

(120) Bergen University, O'Fahey'S Pap., 1/1/3, Zaghawa , Nov.1915. وهناك أيضا مقابلة شخصية مع السيد محمد علي أحمد بن عبد الرحمن فرتي زعيم قبيلة الزغاوة في كوبي - وهو حفيد الزعيم الزغاوي الكبير عبد الرحمن فرتي - ، وتم اللقاء في منزله في كوبي في دارفور ، ٢٠١٩.

(121) Ber.Univ.,O'Fahey'S Pap., 66/B9 , MacMichael's Letter to Symes Assistant Civil Secretary , 1915 , PP 1-2.

(١٢٢) دار تاما : انظر شكل رقم (٣).

(١٢٣) المساليت : انظر شكل رقم (٣).

(١٢٤) دار قمر : نفسه

(١٢٥) موسى المبارك الحسن ، المرجع السابق ، ص . ١٥٨-١٥٧.

(١٢٦) دار الوثائق القومية بالخرطوم ، ملف رقم ١١/١ - B ملفات المهديّة ، واردة المهديّة وثيقة رقم ١٩ ، من عثمان آدم إلى الخليفة عبدالله التعايشي في أم درمان ، بتاريخ ربيع الأول ١٣٠٥هـ / أكتوبر ١٨٨٨.

(127) Ber.Univ.,O'Fahey'S Pap., 66/B9 , op.cit., p.55.

(١٢٨) **مجاة ١٣٠٦** : هي مجاعة كبرى اجتاحت البلاد ابتداء من عام ١٣٠٦ هـ ، والتي كانت سببا مهما لفشل جيوش المهديّة في جبهات القتال ، فقد كان محصول الغلال سيئا بعد أن تناقصت الأيدي الزراعية العاملة على زراعة ورعاية الأراضي ، فاضطر الناس إلى أكل أوراق الشجر، وكان للدولة المهديّة في هذا الشأن تدابير كثيرة على كافة المستويات العسكرية والإدارية للحد من وطأتها.



- ولمزيد من المعلومات انظر ب.م. هولت ، المرجع السابق ص ٢١٣ - ٢١٨
- (١٢٩) دار الوثائق القومية بالخرطوم ، ملف رقم ١١/١ - B ملفات المهديّة ، واردة المهديّة وثيقة رقم ١٠ ، عثمان آدم إلى الخليفة عبدالله التعايشي في أم درمان ، (130) Wingate F.R., op.cit., p.176.
- (١٣١) دار الوثائق القومية بالخرطوم ، ملف رقم ١١/١ - B ملفات المهديّة ، واردة المهديّة وثيقة رقم ١٣ ، عثمان آدم إلى الخليفة عبدالله التعايشي في أم درمان ، ١٨ صفر ١٣٠٦هـ / ٢٤ أكتوبر ١٨٨٨.
- (١٣٢) دار الوثائق القومية بالخرطوم ، ملف رقم ١٥/١ - B ملفات المهديّة ، واردة المهديّة وثيقة رقم ٨٦ ، من عثمان آدم إلى الخليفة عبدالله التعايشي في أم درمان ، ربيع الآخر ١٣٠٦هـ / ديسمبر ١٨٨٨.
- (١٣٣) دار الوثائق القومية بالخرطوم ، ملف رقم ١٥/١ - B ملفات المهديّة ، واردة المهديّة وثيقة رقم ٥٦ ، من أبو جميزة إلى الخليفة عبدالله التعايشي في أم درمان ، بتاريخ ١٣ ربيع الآخر ١٣٠٦هـ / ١٧ نوفمبر ١٨٨٨.
- (134) Ber.Univ.,O'Fahey'S Pap., 66/B9 , op.cit., p.45.
- (135) Ber.Univ.,O'Fahey'S Pap., 1/2/3, Dar Masalit ,1918.
- (136) Ber.Univ.,O'Fahey'S Pap.,1/1/3, op.cit., pp.18-19.
- (١٣٧) دار الوثائق القومية بالخرطوم ، ملف رقم ١٤/١ - B ملفات المهديّة ، واردة المهديّة وثيقة رقم ٣٤ ، من محمود ود أحمد إلى الخليفة عبدالله التعايشي في أم درمان ، بتاريخ صفر ١٣١١هـ / أغسطس ١٨٩٣ .
- (١٣٨) دار الوثائق القومية بالخرطوم ، ملف رقم ١٤/١ - B ملفات المهديّة ، واردة المهديّة وثيقة ٥٧ ، من محمود ود أحمد إلى الخليفة عبدالله التعايشي في أم درمان ، بتاريخ ذو الحجة ١٣١١هـ / يوليو ١٨٩٤ .
- (139) Ber.Univ.,O'Fahey'S Pap.,1/1/3, op.cit., pp.20-25.
- (١٤٠) دار الوثائق القومية بالخرطوم ، ملف رقم ١٨/١ م ، من محمود ود أحمد إلى الخليفة عبدالله التعايشي ، بتاريخ ٤ جمادى أول ١٣١١هـ / ٥ ديسمبر ١٨٩٣ .
- (141) Ber.Univ.,O'Fahey'S Pap.,1/1/3, op.cit., p. 25.
- (142) Ber.Univ.,O'Fahey'S Pap., 1/2/3, op.cit.,pp. 33-42.
- (١٤٣) دار الوثائق القومية بالخرطوم ، ملف رقم ١٤/١ - A ملفات المهديّة ، واردة المهديّة وثيقة ٦٨ ، من محمود ود أحمد إلى الخليفة عبدالله التعايشي في أم درمان ،

بتاريخ ذو الحجة ١٣١١هـ/ يوليو ١٨٩٤ .

(144) C.I.R., 10/12/55, February 1895 , p.3.

(145) Ber.Univ.,O'Fahey'S Pap., 1/2/3, op.cit.,pp.25-26.

(١٤٦) دار الوثائق القومية بالخرطوم ، ملف رقم ٨/١ م ملفات المهديّة ، وارد المهديّة وثيقة رقم ٢٣ ، من محمود ود أحمد إلى الخليفة عبد الله التعايشي في أم درمان ، بتاريخ شعبان ١٣١٣/ يناير ١٨٩٦ .

(١٤٧) دار الوثائق القومية بالخرطوم ، ملف رقم ٨/١ م A ملفات المهديّة ، صادر المهديّة ، وثيقة رقم ١٨ ، من الخليفة عبد الله التعايشي إلى محمود ود أحمد بتاريخ رمضان ١٣١٣/ فبراير ١٨٩٦ .

(١٤٨) ولمزيد من المعلومات عن مد سكة الحديد السودان انظر وسام أحمد طه منصور ، سكة حديد السودان ودورها السياسي والاقتصادي منذ نشأتها ١٨٦٣ - ١٩٥٥ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية جامعة القاهرة ، ٢٠٠٥ .

(١٤٩) وعن حملة استرداد السودان التي قامت بها مصر وبريطانيا خلال الفترة ١٨٩٦- ١٨٩٨ انظر

Churchill, W., the River War, London 1949؛ عصمت حسن زلفو ، كررى ، أم درمان ١٩٩٥ .

Neillands, R., the Dervish Wars Gordon and Kitchener in the Sudan 1880-1898, London 1997.

(١٥٠) **السلطان علي دينار**: ولد علي دينار في قرية شوية على مسافة قصيرة من بلدة نيالا ما بين عامي ١٨٥٦ و ١٨٧٠ وكان والده من أصغر أبناء السلطان محمد الفضل ، وظهر على دينار بصحبة عمه أبو الخيرات عندما ساند تمرد أبو جميزة وهرب معه بعد الهزيمة في فبراير ١٨٨٩ ولجأ إلى سلطان دار سلا ، ونشب نزاع بين أبو الخيرات وعلي دينار وتمكن الأخير من قتل أبو الخيرات وبوفاة أبو الخيرات جرى انتخاب علي دينار سلطانا مكانه ١٨٩٠، وطلب محمود ود أحمد حضور علي دينار وتقديم فروض الولاء في الفاشر للمهديّة فاضطر للذهاب ١٨٩١ وفي مستهل عام ١٨٩٥ ذهب إلى أم درمان حيث مكث فيها إلى مجيء حملة الاسترداد وهزيمة جيش الدولة المهديّة في موقعة كرري ١٨٩٨ ، ليفر علي دينار من أم درمان متجها

إلى الفاشر في عدد كبير من أتباعه فيجلس على عرش دارفور منتزعا إياه ليستمر سلطانا على دارفور يدين بالولاء والتبعية لحكومة السودان حتى ١٩١٦. ولمزيد من

المعلومات انظر Theobald, A.B., op. cit., pp.18 – 22.

(١٥١) رابح فضل الله : كان من أتباع الزبير باشا رحمة مدير بحر الغزال وبلاد شكا والذي وقع على عاتقه الجانب الأكبر من ضم دارفور للإدارة المصرية في السودان ، واشترك في الحملات المصرية ضد الحبشة ضمن الفرسان غير النظاميين وأصيب في إحداها ، كما اشترك رابح في ثورة سليمان بن الزبير في بحر الغزال ضد الإدارة المصرية في السودان بقيادة غودرون باشا حكمدار عموم الأقاليم السودانية ، وبعد هزيمة سليمان ثم مقتله ١٨٧٩ جمع فلول قواته واتجه نحو الغرب إلى دار منجا وطفق يشن الغارات تلو الأخرى على البلدان المجاورة ، فكان يغزو دارفور تارة ، وتارة وأخرى وداي ، ثم واصل غزواته في السودان واتخذ من البلاد في جهة نهر شاري مركزا له ، وأخذ ساعده يشند حتى قوى تدريجيا واستطاع اخضاع الإمارات المجاورة ، فاستولى على الباقيري في عام ١٨٩٢ ، ولجأ إلى سلطانها في الشاري الأسفل ومنها إلى وداي ١٨٩٤ ثم غزا رابح بورنو وهي إلى الجنوب والغرب من بحيرة تشاد فهزم سلطانها هاشم ، ودخل عاصمتها كوكا واستطاع بذلك رابح أن ينشأ لنفسه ملكا مستقلا على ضفاف الشاري . ولمزيد من المعلومات انظر

Gaston Dujarric, La vie du sultan Rabah - Les Français au Tchad, Paris, Collection XIX; 1 edition ,September 26, 2016 ; Max Von Oppenheim, Rabeh und das Tsadseegebiet, Berlin, Peter Becker- Reiner Ruf, February 2020 ; A. Babikir, L'Empire du Rabih, Paris, 1954; Encyclopedia Britannica, "Rabih az-Zubayr", 2000.

(152) Nicolaa Ziedeh, op .cit., pp.28-32.

(153) S.I.R., 2/9/90, 31 st. January 1902.

(154) S.I.R., 2/9/65, op.cit., p.13.

(155) E. E. Evans-Pritchard , op.cit., p.27.

(١٥٦) محمد فؤاد شكري ، المرجع السابق ، ص. ١٤٩-١٥٠.

(١٥٧) علي محمد الصلابي ، الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا ، ص. ١٩٩ .

(158) S.I.R., 5/9/10, no.95,1902, p.3

(١٥٩) علي محمد الصلابي ، الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا ، ص. ٢٠٠ .

- (١٦٠) فوراوية : انظر شكل رقم (٣).
- (161) S.I.R., 2/6/23, Report on Darfur, from Kordofan's Governor to Assistance Director Intelligence, 1909, p.1.
- (١٦٢) قبيلة السلامة : انظر شكل رقم (٥).
- (163) S.I.R., 2/7/14, Report no. 17, 1908,p.3.
- (164) S.I.R.,6/7/23, Note on the region Ennedi , Appendix A, 1912, p.3.
- (١٦٥) السلطان دود مرة : هو آخر سلاطين وداي تولى في عام ١٩٠٢ ، واسمه محمد صالح لكنه اشتهر بلقب دود مرة وتولى الحكم على إثر الصراعات التي نشبت بين سلفه السلطان احمد غزال ومناهضين له على الحكم . ولمزيد من المعلومات انظر الصادق أحمد آدم ، المرجع السابق، ص. ٢٤ .
- (166) S.I.R., 2/6/23, Report on Darfur, p. 5.
- (167) Ber.Univ.,O'Fahey'S Pap., 1/2/3, op.cit.,pp.2-6.
- (168) S.I.R., 2/9/65, Report on Wadai, Appendix A, 20 th November 1899.
- (169) Theobald, A.B., op. cit., p. 151.
- (170) Ber.Univ.,O'Fahey'S Pap., 1/2/3, op.cit.,pp.12-13.
- (171) S.I.R., 2/9/65, Report No. 79, Appendix C. information Darfur Supplied by Abdel Halim an intelligence Agent , August 1901, p.2.
- (172) E. E. Evans-Pritchard , op.cit., p.27.
- (173) Ibid.
- (١٧٤) محمد فؤاد شكري ، المرجع السابق ، ص. ٩٩ .
- (١٧٥) أحمد صدقي الدجاني ، المرجع السابق ، ص. ١٩١ .
- (176) Theobald, A.B., op. cit., p.151.
- (177) S.I.R., 2/9/72,, letter from secret agent Khalil Hassan to the intelligence officer , Omdurman dated el-obeid, 1st July, 1900.
- (178) S.I.R., 2/9/69, Appendix K. , April 1900.,
- (179) S.I.R., 2/9/83, May 1902, p.3.
- (180) ibid, 1/8/74, letter from Ali Dinar to Mudir Kordofan ,9 October 1900 .

(١٨١) قبيلة الكبابيش : قبيلة من أصول عربية من قبيلة جهينة ، وتمارس حرفة رعي الإبل والأغنام كما تمارس النشاط التجاري ، وهي واحدة من كبريات القبائل في السودان وامتزجت معهم بعض بطون الشايقية والبجة والبقارة والكواهلة

- والجعليين... ومنطقتهم تمتد من دنقلا إلى الصحراء الليبية وحتى حدود دارفور ووادي غربا . ولمزيد من المعلومات انظر : عون الشريف قاسم ، موسوعة القبائل والأنساب في السودان وأشهر أسماء الأعلام والأماكن ، ستة أجزاء ، الجزء الخامس ، الخرطوم ، ١٩٩٦ ، ص.ص. ١٩٢٧ - ١٩٣٠ .
- (١٨٢) محمد سعيد القدال، تاريخ السودان الحديث ١٨٢٠ - ١٩٥٥ ، الطبعة الثانية ، الخرطوم ، مركز عبدالكريم مرغني ، ٢٠٠٢ ، ص. ٨٠ .
- (183) Talal Asad , , The Kababish Arabs , London, 1970, pp. 84-85
- (184) S.I.R., 6/5/17, Report no. 160, by MacMichael , 20 August, 1907.
- (١٨٥) **بئر العطرون** : له أسماء عديدة منها بئر العطرون ، أو بئر النطرون أو بئر الزغاوة ، وهي واحة في قلب الصحراء وعلى مسافة ٦٥٠ كم شمال الفاشر وبه مادة العطرون وهي مادة من خليط أملاح الكربونات والكلوريدات والكبريتات ، كما تعتبر نقطة عبور للقوافل التجارية . ولمزيد من المعلومات انظر: هارون سليمان يوسف ، المرجع السابق، ص . ١٤-١٧ .
- (١٨٦) **وادي هور** : هو من أكبر الوديان الواقعة في الصحراء ، وينحدر من مرتفعات إيندي في تشاد وتغذيه عدد من الأودية منها وادي الطينة ووادي كرنوي بالقرب من حدود تشاد في دار الزغاوة ويستمر الوادي في شق الصحراء التي تفصل بين ليبيا والسودان ليصب في النيل في منطقة دنقلا. عبدالباسط إدريس ، وادي هور أسطورة الحرب في دارفور ، **جريدة السوداني** ، بتاريخ ١١ يونيو ٢٠١٣ .
- (187) Talal Asad, The Kababish Arabs , London, 1970, p.165.
- (188) S.I.R., 2/3/14, Report no. 142, 1902.
- (189) C.I. R., 11/2/7, Report no. 21, 1912.
- (١٩٠) شكيب أرسلان ، المرجع السابق ، الجزء الثاني ، ص . ١٤٥ .
- (191) S.I.R., 2/9/69, Appendix K. , April 1900.
- (192) S.I.R., 6/5/17, Report no. 146, August 1906, p. 3.
- (193) S.I.R., 6/7/22, Note on the Region Ennedi, 1912.
- (194) C.I.R., 11/2/7, op. cit., p. 5.
- (195) S.I.R., 6/7/22, Report no. 14, 1913 , p. 6
- (196) Ber.Univ., O'Fahey'S Pap., 1/2/3, op.cit., pp.2-6.
- (197) Ibid.
- (١٩٨) شكيب أرسلان ، المرجع السابق ، الجزء الثاني ، ص. ١٢٥ .
- (199) S.I.R., 21/2/3, Report no. 13, Ali Dinar and Kababish Arabs : status in Darfur, 1914.

(200) *ibid*, Report no. 15, 1915.

(٢٠١) حسن قنديل ، فتح دارفور سنة ١٩١٦ ونبذة من تاريخ سلطانها علي دينار ،

الطبعة الثالثة ، الخرطوم ، دار الكتب السودانية ، ٢٠١٨ ، صفحات متفرقة.

(٢٠٢) محمد أنيس والسيد رجب حراز ، الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر ، القاهرة ، دار النهضة العربية، ١٩٦٧، ص . ٢٢٧.

(٢٠٣) مكي شبكية ، السودان في قرن ، ص. ٢٣٢.

(٢٠٤) محمد أنيس والسيد رجب حراز ، المرجع السابق ، ٢٣٧.

(٢٠٥) محمد فؤاد شكري ، المرجع السابق ، ص . ١٦١-١٦٢.

(206) Edward , F. A., War Time in the Sudan , The First World War from Tripoli to Addis Ababa (1911-1924), London, 2018, pp.30-33.

(٢٠٧) محمد فؤاد شكري ، المرجع السابق ، ص . ١٦٣.

(208) Theobald, A.B., *op. cit.*, pp.140-141.

(٢٠٩) مكي شبكية ، المرجع السابق ، ص. ٣٤١.

(٢١٠) تقرير عن المالية والإدارة والحالة العمومية في السودان سنة ١٩١١ ، القسم الثاني ، مذكرة بقلم الحاكم العام ، ص. ١٣.

(٢١١) يونان لبيب رزق ، السودان في عهد الحكم الثنائي الأول ١٨٩٩ - ١٩٢٤ ، القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٥، ص. ١٢٥.

(٢١٢) نفسه ، ص . ١٢٨.

(213) Theobald, A.B., *op. cit.*, p.103.

(214) Macmichael, H., the Anglo Egyptian Sudan, London, Oxford university press, 1933, p. 131.

(215) Holt, P.M., A modern history of the Sudan, London,, Oxford university press, 1961, p. 188.

(216) Macmichael, H., the Anglo Egyptian Sudan, *op. cit.*, p. 131.

(217) Theobald, A.B., *op. cit.*, pp. 137 - 138.

(٢١٨) مكي شبكية ، المرجع السابق ، ص. ٣٤٣.

(219) Theobald, A.B., *op. cit.*, pp.141-145.

(٢٢٠) لطيفة محمد سالم ، مصر في الحرب العالمية الأولى ، القاهرة ، دار الشروق، ص . ٢٩٠ - ٢٩٦.

(٢٢١) حسن قنديل ، المرجع السابق ، ص. ٢٢ - ٤٠.